الشيخ محمد علي دبّوز

تاريخي - شخصيتي - جهادي - آثاري

إعداد

دبوز بيوض إبراهيم بن محمد

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الصفاء
للشيخ محمد علي دبوز
بريان - ولاية غرداية / الجزائر

هاتف وفاكس: 029246372 هاتف النقال: 0779200896
البريد الالكتروني:assafa.berriane@gmail.com

فهرس الكتاب

المقدمة.....03

الباب الأول.....04

بيئته.....04

1- البيئة السياسية.....04

2- البيئة العلمية.....05

3- الحركة التعلمية في بريان.....09

4- البيئة الإجتماعية 12

5- البيئة الإقتصادية.....14

الباب الثاني.....16

1-نسبه ومولده ونشأته.....16
2-دراسته الإبتدائية في بريان.....18
3-دراسته الثانوية في معهد الحياة.....18
4-إخوان الصفاء.....21
5-دراسته العليا في تونس.....23
6-دراسته العليا في مصر ومغامراته إليها.....24

الباب الثالث.....25

1-إشتغاله بالتربية والتعليم في معهد الحياة 28
2-أسباب اهتمامه بالتاريخ.....28
3-منهجه في التربية والتعليم..... 30
4-نهجه في العقاب.....33
5-ماذا يشترط في مدرس التاريخ.....34
6-اهتمامه برسم الخرائط والتحضير.....25

الباب الرابع.....37

آثاره التاريخية والأدبية والتربوية.....37
1-القسم الأول:الأبواب والفصول التي حذفها من كتبه 37
2-القسم الثاني:الأبواب والفصول التي اختصرها في كتبه.....39
3-آثاره التاريخية 40

4-آثاره التربوية 41
5-آثاره الأدبية.....42
6-مقالاته الأدبية.....43
7-مجلة الشباب ودورها الفعال في التكوين والتطوير.....44
8-مقالاته في مجلة الشباب.....46

الباب الخامس.....50

القسم الأول:.....50

شخصيته في منزله وأسرته.....50

1-نظامه اليومي.....50
2-اهتمامه بتربية أولاده ونهجه في ذلك.....54
3-اهتمامه بأوقات فراغهم والمطالعة 59
4-نهجه في العقاب 61
5-تمسكه بالهندسة والسمت الميزابيين.....62

الباب السادس.....64

مقتطفات مما كتبه العلماء والمؤرخون حول تراثه.....64

1-الشيخ علي يحي معمر من مقاله" تاريخ المغرب الكبير" 64
في مجلة الأزهر.
2-الدكتور محمد بن صالح في مقالة الشيخ محمد علي دبوز.....65

وتاريخ المغرب الكبير مجلة المجاهد

3-الدكتور محمد بن صالح ناصر في مجلة محمد علي دبوز.....67

والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ.

4-الشيخ أنور الجندي من كتابة " مفكرون وأدباء".....67
5-الشيخ أنور الجندي من كتاب " الفكر والثقافة في شمال افريقيا.....68
6- الشيخ أنور الجندي نظرات في نهضة الجزائر.....68
الحديثة في مجلة الأديب
7-الشيخ محمد عطية الأبراشي مقدمة تاريخ المغرب الكبير.....69
الجزء الأول.
8-الدكتور محمد بن قاسم بوحجام في مقاله:.....70

المؤرخ الجزائري في ذكراه السادسة في مجلة النهضة العمانية.
الدكتور نور الدين حاطوم مجلة الآداب.....71

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طلب مني بمناسة فتح مكتبة الوالد الشيخ محمد علي دبوز - رحمه الله - أبوابها للمثقفين والباحثين في مقرها الجديد المخصص لها .أن نكتب نبذة عن تاريخ حياته حتى يتعرف عليه من خلالها الجيل الناشئ.ويعلم كيف كان علمائنا يشقون طريق العلم الوعرة؛ المهولة بكل الصعاب الجسام.ولا تزيدهم إلا مضاء وعزما. وكيف أن طلب العلم لا يدرك بالمنى .ولا بالشئ الهين السهل المنال.

وأمام إلحاح الإخوة سيما عيسى بن الحاج بكير دبوز .لم يسعني إلا التوكل على الله والشروع فيها .

قسمتها إلى ستة أبواب .

الباب الأول: للبيئة التي ولد ودرج وتعلم وعمل؛ وكان لها الأثر الكبير في شخصيته .

الباب الثاني: ذكرت فيه نسبه وميلاده ونشأته، ودراسته الإبتدائية في بريان؛ والثانوية في القرارة مع ذكر آثار شخصية الشيخ بيوض فيه

وذكرت إخوان الصفاء. ودراسته العليا في تونس.ثم مغامرته إلى مصر لمواصلة دراسته العليا.وليتخصص في الفنون التي يطمح إليها.

الباب الثالث: تطرقت فيه إلى تدريسه بمعهد الحياة . وما هي منهجيته في التربية والتعليم. وماهي المميزات التي كان يمتاز بها في شخصيته التربوية .

الباب الخامس: شخصيته العظيمة والمميزات التي كان يمتاز بها وتركت في عمله الأدبي وفي تلاميذه وأبنائه الآثار الجليلة .سيما شخصيته في منزله.

الباب السادس: ذكرت فيه مقتطفات من أقوال العلماء في تراثه .

أعاننا الله وأخذ بأيدينا إلى مافيه رشدنا وصلاحنا . وسدد خطانا.

الباب الأول

بيئته:

أقدم هاته النبذة الموجزة عن حياة الوالد الشيخ محمد علي دبوز- رحمه الله - وشخصيته التربوية والعلمية والأدبية، بابا ألقي منه بعض الضوء على البيئة التي ولد وترعرع ونشأ في أحضانها، والتي حتما كان لها الأثر الكبير في نفسه وفي تكوينه العلمي واتجاهاته.

وأقسم هاته البيئة إلى:

1. البيئة السياسية .
2. البيئة العلمية .
3. البيئة الاجتماعية .
4. البيئة الاقتصادية.

البيئة السياسية:

تمتعت وادي ميزاب في تاريخها القديم بالاستقلال، قرابة تسعة قرون من الزمن؛ سيما السياسي والاجتماعي منذ أن تأسست أولى قراها (العطف) في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي 402هـ/1012م إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وتمتعت بهذه الميزة حتى عندما عقدت معها الحكومة الفرنسية المعاهدة يوم 29 أفريل 1853م. من طرف القائد (كومندان دبيري) باسم والي عموم الجزائر (الماريشال راندون).

تعهدت فيها للميزابيين بحفظ بلادهم؛ واحترام معتقداتهم؛ وصيانة عوائدهم، ولا تتدخل في أمورهم الداخلية[1].

ولكن ما أسرع أن نقضت الحكومة الفرنسية هاته المعاهدة . والنقض ديدنها وجبلية فيها .

وفي 26 أكتوبر 1882م تلقى الجنرال دولاتور برقية من الوالي العام لويس تيرمان يأمره فيها باحتلال ميزاب وإلحاقها بفرنسا، بحجة تزويد وادي ميزاب الثوار بالمؤن، واتخاذهم لها مخبأ تقيهم غارات الاستعمار.

ثم إعلان إلحاق وادي ميزاب بفرنسا رسميا يوم 30 نوفمبر 1882 [2].

هكذا وقعت وادي ميزاب في مخالب الاستعمار الغاشم، وفقدت ما كانت تتمتع به من حرية واستقلال في تسيير دفة أمورها الداخلية، وتعاقب عليها حكام عسكريون فرنسيون؛ كلهم مستبدون ذوو غطرسة وفظاظة، عزموا على سلخ الجزائر من دينها وتاريخها وأصالتها وكشفوا

---

[1] مذكرات و وثائق عن وادي ميزاب ص 6.
[2] تاريخ وادي ميزاب ص 114.

عن حقيقتهم الصليبية، وكان أخبتهم على الميزابيين وأشدهم تنكيلا بهم؛ وبعلمائهم؛ قائدان هما فيقوروس ونائبه وتلميذه قوتي.

وقد بدأ فيقوروس الحكم على وادي ميزاب في أوائل العشرينيات من القرن العشرين؛ إبان الحركة الإصلاحية التي تزعمها العلامة الشيخ بيوض - رحمه الله - وكان فظا غليظا على الميزابيين عموما؛ وعلى الحركة الإصلاحية خصوصا.

وقد بلغ به معاداته للشيخ بيوض أن أقسم لأذنابه؛ أن لا يعتزل وظيفته في ميزاب؛ حتى ينفي الشيخ بيوض؛ أو يسجنه؛ أو يحكم عليه بالإعدام[3].

ولما نقل إلى ورجلان خلفه نائبه قوتي وكان في الظلم؛ والغطرسة؛ وشدة معاداته للإصلاح والعلماء، كسابقه وأستاذه، ودام حاكما لميزاب إلى أن زال الحكم العسكري في الخمسينات من القرن العشرين[4].

ومن أكثر ما عانت به وادي ميزاب من جراء الاستعمار هو التجنيد الإجباري الذي قرر يوم 30 فيفري 1912، وقد وقع على الميزابيين وقعا أليما مريرا، لأنه يجعلهم وجها لوجه أمام إخوانهم الجزائريين المسلمين، وهو مالا يسمح به لهم دينهم الذي يحرم دماء المسلمين، وما تأباه وطنيتهم وأصالتهم . وقاطعوا هذا التجنيد وتصدوا له بكل ما أوتوا من طاقة وقوة ووسيلة ، ولم يذعنوا للقرار رغم بداية تطبيقه قسرا في سنة 1918م ، وداموا على محاربته؛ حتى أصدر مرسوم بإلغاء التجنيد الإجباري للجزائريين يوم 6 فيفري 1946م[5]، حينها تنفس الميزابيون الصعداء.

<u>البيئة العلمية:</u>

لما احتل الفرنسيون وادي ميزاب كانت النهضة العلمية الإسلامية الحديثة قد نشأت فيها، رفع لواءها عاليا وتزعمها الإمام العلامة قطب الأئمة الشيخ الحاج أمحمد طفيش- رحمه الله - وكانت أسبق نشأة من النهضة العلمية في الشمال[6].

وكان التعليم العربي الإسلامي بقسميه الابتدائي للصغار؛ والثانوي للكبار حرا منذ تأسيس وادي ميزاب في القرن الحادي عشر الميلادي إلى ما بعد احتلاله .

كان التعليم الابتدائي يزاول في المحاضر الملحقة بالمسجد؛ يتولى فيها التعليم ثلاثة أعضاء من حلقة العزابة؛ تطوعا لوجه الله من غير أجرة وليس لمن يقصد المحاضر للتعليم حد في السن .يكون فيها ابن أربع سنين وابن السبعين، ووقت التعليم فيها بين صلاتي الظهر والعصر

---

[3] أعلام الإصلاح في الجزائر . الجزء الرابع ص43.
[4] المصدر السابق .ص44.
[5] تاريخ بني ميزاب من ص 161 إلى 165
[6] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني.

والمغرب والعشاء، وبين السحر وطلوع الشمس في الشتاء، ويتعلم فيها الكتابة؛ والرسم؛ وحفظ القرآن، ومبادئ الفرائض الدينية، وخاصة العقيدة والوضوء والصلاة [7].

أما التعليم الثانوي فقد كان العلماء في وادي ميزاب منذ القرون الأولى، يتخذون من دورهم مدارس، يؤمّها الراغبون في التفقّه وتلقي العلوم العربية، ولا حد لهم فيها للسن كذلك فمن بلوغ الحلم إلى السبعين والثمانين ...

وكان يشترط للالتحاق بهذا التعليم استظهار القرآن الكريم، ولا حد لسنوات الدراسة فيه. وكان من الطلبة من يمكث سنتين أو ثلاث سنوات، أو أربعينا فيكتفي بما أخذه، ثم يترك المدرسة للاشتغال بالكسب، ومنهم من يطول مكثه حتى يأخذ حظا وافرا من العلوم العالية في أصول الفقه والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة وغير ذلك ...

وهؤلاء هم الذين يعدّون أنفسهم للتصدي للتعليم في بلدانهم ليخلفوا مشائخهم [8].

في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي؛ قبل احتلال ميزاب بسنين، تنبه الناس لقصر مهمة التعليم في المحاضر التابعة للمسجد، ولم تكن كافية لتكوين أبنائهم؛ من حيث المنهجية، أو عدد المعلمين وتكوينهم المنهجي سيما وقت الدراسة القصير، فشرعوا في فتح دورا خاصة للتعليم العربي القرآني توازي المحاضر في مهمتها .

وجلبوا لها معلمين أكفاء، ومن يومئذ استحدثت الأجرة للمعلمين لأنهم يتفرغون لمهمتهم ويعلمون في أوقات الكسب، وهاته الأجرة غالبا ما تكون مؤونة وقد تكون نقدا [9].

وعند احتلال وادي ميزاب دام التعليم فيها حرا، متمثلا في المحاضر أو الدور المخصصة له أو في دور العلماء، وبقي على هذا الحال عشرة سنوات من سنة 1882م إلى يوم 18 أكتوبر 1892م. حين صدر القانون الفرنسي الآمر بإنشاء مدارس فرنسية رسمية في كل قرى وادي ميزاب، ثم أنه ينص في فصله "55" أن يمنع الصبيان الذين لهم عمر مدرسي من ست سنين كاملة؛ إلى ثلاث عشرة سنة كاملة أن يقبل في المحضرة أو المدرسة الحرة؛ أوقات المدارس الفرنسية، ولكن الميزابيين قاطعوا هاته المدارس الفرنسية ورأوا أن الدراسة فيها كفر وإلحاد؛ وأن الذين يعملون فيها أنجاس أنكاد.

ولم تجد السلطة الحاكمة إلا أن تأخذ إليها الصبيان أخذا جبرا، وتجرهم جرا وهم يبكون مما حدا بالأولياء إلى أن يهربوا أولادهم إلى مدن التل كلما اقترب موعد فتح المدارس الرسمية[10].

---

[7] رسالة الشيخ بيوض حول التعليم الحر بوادي ميزاب.
[8] رسالة الشيخ بيوض حول التعليم الحر بوادي ميزاب.
[9] رسالة الشيخ بيوض.
[10] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني

وكلما اقترب موعد فتح المدارس الرسيمة؛ وقع تغريم وسجن وتعذيب لمعارضيها.

ويشتد بنوع خاص على المعلمين الذين يعلمون في الصباح؛ أوقات المدرسة الفرنسية ودام الصراع على هذا إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى[11].

وفي القرى البعيدة عن مقر الحكم العسكري بوادي ميزاب المستقر بغرداية واصلت المدارس الحرة في أداء مهمتها سرا في الصباح، ومسؤولوها كلهم عيون تراقب حركات المسؤولين الفرنسيين وإدارتهم؛ وبمجرد علم مسئولي المدارس الميزابية بتوجهها إلى ناحيتهم يأمرون التلاميذ بالانصراف وعدم القدوم إلى حين رجوع هؤلاء المسؤولين الفرنسيين .

وكانت المدارس الحرة تعاني نقص الوسائل العصرية وأجهزتها، والثانوي يفتقر إلى نظام الطبقات (السنوات)، حيث كان التلاميذ الجدد والقدم مختلطين في حلقة درس واحدة لا يميز بينهم، فالقدامى يستمعون لدروس النحو الابتدائي من الأجرومية الخاص للجدد وكذلك هؤلاء يستمعون لدروس النحو الخاص بالقدامى .

ودام التعليم على هذا المنوال؛ إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة 1939م في أثنائها تمّ إصلاحه بقسميه الإبتدائي والثانوي .

إذ شرع دعاة الإصلاح التربوي والاجتماعي بإدخال الوسائل العصرية للابتدائي، وبدئ بنظام الطبقات (السنوات) في الثانوي؛ وزيد في عدد المعلمين[12].

وكان بدء نظام الطبقات في سنة 1915م، حيث صنف الشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي

- رحمه الله - طلبته إلى طبقات وأصناف، حسب ما هو جارفي معاهد العالم الكبيرة كالزيتونة، فأوجد في النحو مثلا طبقة الأجرومية؛ وطبقة الشيخ خالد؛ وطبقة القطر؛ وطبقة المكودي، أي ابن عقيل؛ وطبقة الأثموني ...[13] وهكذا.

وأقبل الناس على العلم؛ وكثر عدد التلاميذ والطلبة في أغلب قرى وادي ميزاب.

وكثرت مسؤولياتهم وتفرعت قضايا التربية والتعليم، ففكر المصلحون في إنشاء جمعيات خيرية تتولى أمر التربية والتعليم وتقوم بشؤونه المتعددة، وبدؤوا في إنشائها؛ ولكنها لم تكن علنية بل سرية، وتشدد في سريتها، لأن القانون الفرنسي الصادر في جويلية 1901م يمنع تأسيس أي جمعية؛ مهما تكن إلا برخصة فرنسية وتفادت الجمعيات المؤسسة طلبها؛ خوفا من تدخل السلطة الحاكمة في شؤونها، بما لها من حق في المراقبة والتفتيش، لأن أهداف هاته الجمعيات السرية لا تقتصر على التربية والتعليم فقط؛ بل تهتم بالعديد من أمور الإصلاح في

---

[11] رسالة الشيخ بيوض.
[12] رسالة الشيخ بيوض.
[13] رسالة الشيخ بيوض

البلدة، وتجمع في يدها زمام الأمور كما كانت عليه جمعية الحياة في القرارة قبل ترسيمها سنة 1937م، وهي الجمعية التي كان يرأسها الشيخ الحاج بكير العنق والشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي، ولقد استطاعت جمعية الإصلاح أن ترسم نفسها منذ تأسيسها لوجودها في مقر الحكم العسكري في ميزاب[14].

أما جمعية الفتح فقبل أن تسمى بهذا الاسم سنة 1946م، كانت جمعية خيرية نشأت في 02 صفر 1346هـ/01 أوت 1927م ودامت في جهادها التربوي الإصلاحي إلى أن تحتم عليها استخراج الرخصة سنة 1365هـ/ 1946م. وتسمت بـ" الفتح"[15].

الحركة التعليمية في بريان:

في العشرية الأولى والثانية من هذا القرن لم يكن التعليم في بريان إلى الدرجة الموجودة في القرارة وغرداية من حيث الاهتمام به وتأطيره لأسباب:

أولها: إن محاضر المسجد لم تكن كافية من كل جوانبها؛ لأداء رسالة التربية والتعليم في البلدة على النمط المرجو منها.

ثانيها: يحتاج الذين يفتحون دورهم لهذه الرسالة؛ إلى هيئة تهتم بأمورها؛ وتدير شؤونها؛ وتحميهم من عوادي المعارضين للتعليم خارج المحاضر واعتداءاتهم الصارخة.

وهذا ما حتم على الشيخ محمد بن الحاج ابراهيم الطرابلسي أن يزم حقائبه ويرحل إلى القرارة ليؤدي رسالته التربوية فيها سنة 1912م ولم يمض له بهاته المهمة في بريان إلا شهورا معدودة من سنة 1911م لأنه لم يجد الهيئة التي تحميه وتقوم بإدارة شؤون التعليم وشؤون الطلبة[16].

وهذا ما حدث كذلك مع الشيخ عمر بن صالح آت داود حين استقدمه إلى بريان الشيخ الحاج إبراهيم فخار سنة 1926م، ولم يمكث طويلا في التدريس حتى رجع على أعقابه إلى غرداية، من أجل المشكل الذي رحل من أجله الشيخ الطرابلسي إلى القرارة[17].

وأمام هاته العوامل تبين لأعيان بريان قبل أن يفتحوا مدرسة؛ ويجلبوا لها معلما كفئا أخلاقيا وعلميا عليهم ان يرسوا قواعد الجمعية الخيرية التي تتكفل بالمهمة التربوية، ووجودها الحل الأوكد لمعالجة أزمة التعليم في بلدهم.

---

[14] نهضة الجزائر الحديثة.
[15] نهضة الجزائر الحديثة.
[16] تاريخ الشيخ الطرابلسي . مخطوط.
[17] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني.

وشمروا لتأسيس هذه الجمعية، وكانت كما يريدونها سرية، وتحققت بغيتهم يوم 01 أوت 1927م بإرشاد من الشيخ أبي اليقظان ومساعدة الشيخ بيوض، وفتحوا أول مدرسة عصرية في بريان في محرم 1347هـ/جوان1928م وحضر الشيخ بيوض يوم افتتاحها وتولى تدشينها، وكان يوما مشهودا في تاريخ البلدة.. وكان معلمها الشيخ صالح بن يوسف أبسيس ذا كفاءة عالية في التكوين وابتدأت هذه المدرسة بستة عشرة تلميذا كان محمد علي دبوز أحدهم[18].

وقد بذلت الجمعية الخيرية قصارى جهودها لتطوير هذه المدرسة فبنت لها مقرا جديدا خاصا بها؛ يتكون من عدة أقسام جهزتها بالأجهزة العصرية؛ مثل المقاعد والسبورات، وأضافت لها معلمين أكفاء يؤازرون الشيخ صالح أبسيس في مهمته منهم الشيخ صالح بن يحي الطالب باحمد والشيخ عبد الرحمان بن عمر بكلي وغيرهما، رحمهم الله جميعا[19].

ومما تأذت به بعض الجوانب العلمية في الجزائر في ظل الاستعمار؛ هو ما قام به هذا الأخير من تشويه وتحقير وتزييف للشخصية الإسلامية الجزائرية الأصلية؛ حتى تنفر منها نفوس أبناء الجزائر، ويصدقون أكذوبتها الفادحة أنهم فرنسيون أرومة وأصلا. وقامت بتشويه بليغ بدءا من التاريخ الجزائري الإسلامي إلى تاريخ الدول الإسلامية في شمال إفريقيا[20].

ولقد تركت بصماتها السوداء واضحة في تاريخ الجزائر وآمن بآرائها الزائفة كثير من أبناء الجزائر الذين درسوا في المدارس الفرنسية الرسمية.

البيئة الاجتماعية:

امتازت البيئة الاجتماعية في وادي ميزاب في العشرينات والثلاثينات بالصراع المرير بين فئتين.

الفئة الأولى: وهي التي حملت مشعل الإصلاح؛ في كافة مجالات الحياة؛ سواء الدينية أو العلمية أو التربوية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وهي التي قامت بإنشاء الجمعيات الخيرية لتجسيد ما تصبوا إليه من إصلاح في ساحة الواقع، وسعت جهدها لتصحيح العقيدة الإسلامية؛ ووضعها في مسارها النبوي الصحيح وتشذيبها من كل ما يضر بها من تقاليد وعادات وخزعبلات؛ لا أساس لها من الصحة، ومحاربة الآفات الاجتماعية التي استشرى شرها في وادي ميزاب تحت مظلة الاستعمار مثل البغاء العلني والسري، والربا وغيرها...[21]. وتزعم هذه الفئة الشيخ بيوض - رحمه الله.

الفئة الثانية: كانت تناوئ ما تقوم به الأولى من إصلاح على أساس أنه يمس كرامة المسجد ويحط مما كان يذهب إليه مشائخهم القدماء وأجدادهم وتصدوا بضراوة للمدارس العصرية ورأوا

[18] تاريخ الحركة الإصلاحية في بريان . سليمان بن الناصر حسني . مخطوط.
[19] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني.
[20] تاريخ المغرب العربي د. صالح العقاد . الجزء الأول
[21] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني . ص135

أنها تضر المحاضر وعلومها، وأشاعوا في الناس أن إنشاء هذه المدارس العصرية بدعة لا أساس لها من الدين؛ ولم يكتفوا بهذا بل نعتوها بنعوت قبيحة، ليزدروا بها ويحجموا الناس عنها. وثلبوا الشيخ بيوض ووصفوه أنه مبتدع يهدم الدين، ويخالف سيرة السلف الصالح ولقد نزع إلى هذه الفئة بعض القواد[22] وغيرهم من مناوئي الإصلاح.

ولكن الحركة الإصلاحية كانت تؤدي رسالتها في ثبات وإخلاص وصدق، ولا تبالي للعقبات الكؤود، التي توضع في طريقها، فلم تزدها إلا مضاء، وانقسم الناس بين مؤيد لهذه أو لتلك؛ في مد وجزر استفحل أمره في العشرينات والثلاثينات[23].

مما كان يميز الحالة الاجتماعية أن العلماء المصلحين وطلبتهم يلاقون الصعاب الجسام والأضرار البالغة الأذى.

لقد كانت الحكومة الفرنسية ترى " الطلبة "مصدر تشويش وتعكير للأمن وأنهم أعداء فرنسا بالدرجة الأولى، ويكفي للقائد أن ينكل بأحدهم أشد النكال، بنعته للحكومة الفرنسية أنه "الطالب"[24].

والشيخ بيوض - رحمه الله - يبين لنا ما عاناه العلماء والطلبة من طرف الحكومة الفرنسية في تقريره:

((تعاقبت الحركات الثلاث التعليمية والاجتماعية والسياسية، وكان قادتها وموجهوها هم العلماء والعزابة وكبار الطلبة؛ وأصبح الطلبة في نظر المحتلين هم أعداء فرنسا - 1- وهم المشوشون المعكرون لصفو الأمن، يجب التنكيل بهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وكانت كلمة " طالب" مرادفة عندهم لكلمة "خلاط - AGITATEUR" فيكفي أن يقول القائد أو الآغا أو الباشغة لسيده الحاكم العسكري في شخص ما (نعم سيدى هذا خلاط) لجره إلى السجن والتنكيل به، لذلك سلطت الأضواء على دور التعليم، واعتبرت مراكز تشويش وأعداء لفرنسا.

ولا تسأل بعد ذلك عما وقع من تغريم وسجن وتعذيب وأشغال شاقة، الشهور العديدة في "تعضميت" مركز تعذيب في الجنوب، الذي يشبه " تازولت" و" البرواقية" في الشمال، سيق إلى هذا المركز كثير من كبار الطلبة والأعيــان، وسيق إليه مرة أعضاء هيئة عزابة القرارة جميعا...))[25].

البيئة الاقتصادية:

كان المعتمد الاقتصادي الأول للميزابيين هو الفلاحة، ولكون وادي ميزاب همزة وصل في طريق القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وسوقا استراتيجية لها، فقد بدأوا يزاولون حرفة

[22] القواد مفرده القايد : وهو ممثل للحكومة الفرنسية في قرى وادي ميزاب . مع العلم أن قواد بريان كلهم مصلحون بشهادة الشيخ بيوض.
[23] أعلام الإصلاح في الجزائر . الجزء الرابع ص25
[24] تقرير الشيخ بيوض حول التعليم الحر.
[25] تقرير الشيخ بيوض حول التعليم الحر.

التجارة في سوق البلدة بوادي ميزاب، أو في مدن الشمال أو خارج الجزائر، مثل تونس العاصمة؛ وجربة وسوسة ... حتى غدت هي المورد الأساسي للربح والغنى إلى جانب الزراعة التي بقيت موردا مستقرا للكفاف.

لقد كان والد محمد على دبوز السيد الفاضل الحاج علي بن عيسى دبوز تاجرا موسرا في قسنطينة، فاستطاع من خلال تجارته أن يهيئ لابنه محمد ما تطمئن به نفسه للدراسة والتحصيل وبفضل تجارته استطاع أن يطبع محمد علي دبوز كتابه الكبير الحجم "تاريخ المغرب الكبير" في مصر الذي كلف طبعه كثيرا.

ويوجد في وادي ميزاب إلى جانب التجارة والزراعة؛ الصناعات التقليدية المتمثلة في الألبسة الصوفية سيما الحايك والبرنوس والقشابية والمفروشات مثل: الزربية التي امتازت بها، كما امتازت بريان بجودة الألبسة الصوفية. كانت المرأة الميزابية حجر الرحى في هذه الصناعات وعليها المعول والاتكال في ذلك، وكانت تجدها مصدر رزق لا بأس به، تساعد به زوجها في القيام بشؤون أسرتها.

وتروج هذه الصناعات في سوق البلدة، وتباع تحت إشراف العزابة بالدلالة أو تصدر إلى خارج ميزاب أو خارج الجزائر إلى تونس وغيرها.

الباب الثاني

نسبه ومولده ونشأته:

هو محمد بن الحاج علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى بن حمو بن داود بن أمحمد بن داود بن منصور بن إبراهيم دبوز، وداود الثاني هو الذي انتقل من جنوب المغرب الأقصى؛ ثم استقر حينا في جبل الأعمور جبال بني راشد ثم انتقل منها إلى غرداية[26].

ومن أولاده الحاج داود؛ والمعروف بالشيخ بالحاج داود، أحد مشائخ غرداية القدامى والذي له مقام يزار كل عام في مقبرة غرداية وتنسب له كرامات[27].

وأول من انتقل إلى بريان من أجداده هو حمو بن داود وهو الذي لقب بـ"دبوز" حينما كان في غرداية، ومازالت الغابة التي وقعت فيها الواقعة البطولية التي سمي من أجلها "دبوز" موجودة إلى اليوم، وتدعى "غابة الدبوز" وحمو بن داود هو جده الرابع.

وكان كل أجداده من كبار أعيان بريان، وهم رؤساء عشيرتهم النشاشبة وأولاد يونس، وكانت الفلاحة هي مكسبهم، إلا أبوه الحاج علي فقد اشتغل بالتجارة في قسنطينة، وهو من أحد أفراد الثلة التي أسست الجمعية الخيرية سنة 1927م، وقامت بفتح مدرستها العصرية وكان أمين مالها وعضوا فعالا فيها إلى سنة 1380هـ/ 1961م حتى طلب الإعفاء منها لما أثقلت الشيخوخة كاهله وأذهبت بصره وأثقلت سمعه[28].

ولقد ساند الجمعية سيما في مراحلها الأولى التي كانت أصعب مراحلها؛ بماله الخاص وتشهد له ذلك الوثائق الرسمية للجمعية ومحاضرها.

وكان مثالا للتضحية وخدمة الجماعة وعمارة المسجد وحب العلماء ونال قسطه من تنكيل الاستعمار لكنه لم يبالي به.

وكان مؤمنا كل الإيمان بالحركة الإصلاحية، وهو من مناصري الشيخ بيوض وحركته، رزقه الله العديد من الأبناء قبل "محمد" ولكن لم يكتب لهم العيش ودفعه حبه العظيم للعلم والعلماء أن ينذر نذرا إن رزقه الله إبناء ولدا أن يهبه للعلم والدين، وكان منه هذا النذر لما زار معهد الحاج عمر بن يحي المليكي في القرارة[29].

ولقد حقق الله أمنيته الغالية ورزقه ولدا ذكرا في سنة 1337هـ فبراير1919م أسماه محمدا تيمنا بالرسول محمد عليه السلام، وفرح به كل الفرح فدرج محمد وترعرع في حضن أبوين كريمين حريصين على تربيته تربية إسلامية قويمة تؤهله للوفاء بنذر أبيه، وكانت والدته هي

---

[26] تاريخ عائلة البوز للشيخ محمد علي البوز مخطوط.
[27] مشايخ غرداية مخطوط.
[28] تاريخ عائلة البوز للشيخ محمد علي البوز مخطوط.
[29] كلمة الشيخ عبد الرحمن بكلي في تأبين الشيخ محمد علي دبوز.

السيدة عائشة بنت يحي دبوز، وكانت مثالا للجد والحزم والعمل الدؤوب، وقد ورث منها ابنها هاته الخصال الحميدة سيما الحزم، وكانت لا تعرف الكلل من العمل حتى في آخر عمرها إذ توفيت سنة 1973م.

واعتنى والده الحاج علي بتربيته تربية فاضلة إسلامية أصيلة وكان يأخذه معه إلى البستان ويكلفه بالعمل وهو مازال صغيرا، ويبين له أن كل أجداده وأفراد أسرته الكريمة ذووا تفان في العمل الجاد، وكان يقص عليه سيرة أجداده التي تبين صورا رائعة في البطولة والفداء والحزم والنشاط وحب العمل وخدمة الجماعة وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وكان الوالد الشيخ محمد علي دبوز- رحمه الله- هو بدوره يرويها لنا ويطلب منا أن نكون مثل أجدادنا في الجد والحزم والعمل.

وكان والداه يهتمان بتربيته التربية الدينية سيما العقائدية كل الاهتمام منذ نعومة أظافره. وكانا منذ الصغر يبينان له أن هذا حلال وذلك حرام وذاك حسن والآخر قبيح، ودائما قبل أن يستسلم للنوم تلقنه والدته أصول العقيدة الإسلامية، وتتلو له وهو يردد وراءها « الله معي الله ناظري الله حافظي، احفظني من الأفعى، والعقرب، والسارق والطارق،... إلى آخرها. وياما كنا ونحن صغارا نرددها مع جدتنا كما كان يفعل والدنا، ونحن في فراش النوم - رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه -.

دراسته الإبتدائية:

لما بلغ الخامسة من عمره؛ عين له والده السيد الحاج إسماعيل فخار؛ أحد عزابة المسجد ليدرسه في دار خاصة وتلقى منه المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة، ولقنه خواتم القرآن الكريم وحفظها.

ولما فتحت المدرسة القرآنية -الفتح حاليا- أبوابها في جوان 1928 كان من تلاميذها الذين ابتدأ بهم التدريس فيها وهم ستة عشر تلميذا .

ولقد قيض الله لهم معلما نصوحا كان مثال الحازم المتفاني في أداء مهمته؛ وهو الشيخ صالح بن يوسف أبسيس -رحمه الله - إذ تفرس في محمد علي مخائل النجابة والذكاء واهتم به أيما اهتمام، ودرس عليه العلوم الدينية والعربية ودام تلميذا بين يديه إلى سنة 1934م حين شدّ رحاله إلى معهد الشيخ بيوض في القرارة؛ الذي تعلقت به نياط قلبه وهو حلمه الكبير، لما كان يسمع عنه وعرفه من خصال الشيخ بيوض وشخصيته العظيمة التي ملأت قلبه وعقله وكل حواسه.

دراسته الثانوية في معهد الحياة:

قبل أن يتدرج في حلقة معهد الحياة لمزاولة دراسته الثانوية، انكبّ على حفظ القرآن حتى استظهره وعمره ثلاث عشرة سنة.

وفي ربيع الأول1353هـ/ يونيو1934م دخل حلقة معهد الحياة وأصبح أحد تلاميذه، فتتلمذ على يد الشيخ بيوض، والشيخ عدون وابن الناصر الحاج محمد بن حمو وكانت الدروس التي يتلقونها: في التفسير والحديث وشرحه وأصول الفقه وأصول الدين والأدب العربي والنحو والبلاغة والأخلاق والمطالعة.

درسوا أصول الفقه من مختصر العدل والإنصاف للشماخي، والحديث النبوي من مسند الربيع بن حبيب مع شرحه لأبي ستة والجامع الصحيح للبخاري ودرسوا شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني الذي يقع في ثلاثة عشر، جزء وقد دام الشيخ بيوض في تدريس هذا الكتاب الجليل مدة أربعة عشر عاما، من سنة 1931م إلى سنة 1945م، وهو المعتمد الأساسي عنده في الحديث وأقيم في مسجد القرارة حفل مشهود بمناسبة ختمه أما الأدب العربي فمن كتاب الأمالي لأبي علي القالي بجزأيه، ويقول محمد علي دبوز؛ (كان الشيخ بيوض يقول لنا: "إن غرضي الأسمى في تدريس الأدب والبلاغة والعلوم العربية الأخرى؛ أن أكوّن عقولا تفهم بلاغة القرآن؛ والسنة وأقلاما ينصر الله بها دينه ويصلح الله بها مجتمعه"[30].

ترك كتاب الأمالي آثارا عظيمة في معهد الحياة، وهو مدين له بالشيء الكثير، لقد رسخ أقدامه في ميدان الفصاحة والبلاغة.

بدأ الشيخ بيوض تدريس الأمالي في سنة 1934م وهي السنة التي التحق بها محمد علي دبوز بمعهد الحياة وختمه سنة 1945م، وظل في دراسته ثلاثة عشر عاما، ودرسوا في الأدب كذلك كتاب عصر المأمون للدكتور أحمد الرفاعي في ثلاث مجلدات.

ودرسوا البلاغة من كتاب" جواهر البلاغة "لأحمد هاشمي، في الطبقة الأولى والثانية ثم كتاب "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجاني، للطبقة الثانية العليا، وكذلك كتاب "أسرار البلاغة" للإمام الجرجاني كذلك، ترك هذان الكتابان أعظم الأثر في نفوس الطلبة سيما محمد علي دبوز[31]، ودرسوا علم الكلام من الكتاب "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده.

وكانت صبيحة يوم الخميس مخصصة لدرس الأخلاق من كتاب "عظة الناشئين" لمصطفى الغلاييني، وأيضا لمطالعة المقالات من أمهات الصحف والمجلات العربية. وكانت المجلة التي يراعيها الشيخ بيوض بعظيم اهتمامه بها، ويحببها إلى نفوس طلبته" مجلة الرسالة " للشيخ حسن الزيات ثم مجلة" الثقافة"، يقول محمد علي دبوز:"وقرأ علينا مقالات وقصائد من مجلة " الثقافة

[30] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث ص25.
[31] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث ص43.

"وقصائد من مجلة " الرسالة " للزيات ومن المقالات "درس ينفع أبناء هذا الجيل" للدكتور زكي مبارك قرأه علينا بلهجته القوية وصوته العذب؛ ومزجه بروحه وعلق عليه، ما ألهب مشاعرنا وأرانا طريق النبوغ في العلم. أشهد أن هذا المقال قد أثر في نفسي أكثر من مئات المقالات والعشرات من الكتب التي قرأتها في ذلك العهد "[32]. ومن الكتب القيمة التي درسوها في الأدب "وحي القلم" لمصطفى صادق الرافعي في ثلاثة أجزاء، وقد ترك هذا الكتاب الأثر البليغ في نفس محمد علي دبوز وبصماته الجلية في أسلوبه، مما جعله يلهج دائما في كل حين بفضله وآثاره الحميدة.

ولم يتأثر محمد علي دبوز من مؤلفات الرافعي بـ "وحي القلم" بل بكل كتبه سيما كتاب "أوراق الورد" وكتاب "دلائل القرآن" و "رسائل الأحزان" وغيرها. وهناك جانب ثقافي مهم في نشاط معهد الحياة الثقافي تشحذ فيه نفوس التلاميذ وتصقل ألسنتهم وتبري أقلامهم وتتبارى فيما بينها، إنه جمعية الشباب التي كان لها بليغ التكوين في التلاميذ وهي متنوعة بأنشطتها وأعمالها الأدبية أبرزها الخطابة والمناظرة، وبين أحضانها يتقن الطلبة هذين الفنين الأدبيين وغيرها من الفنون.

وكان لها مجلة "الشباب" تتسابق في حلبتها الأقلام تارة، وتتناطح تارة أخرى، في منهجية أدبية فذة، وقد تأثر التلاميذ بالمناظرات الكبرى التي وقعت بين أقطاب الأدب العربي، مثلما وقع بين الدكتور أحمد أمين والدكتور زكي مبارك، وبين مصطفى صادق الرافعي والدكتور طه حسين وكذلك عباس محمود العقاد، وقلدوهم فيما بينهم بشجاعة أدبية يحدها صفاء الطوية.

وكان محمد علي دبوز من أبرز كتاب مجلة الشباب، وكان هو وصديقه وزميله وأخوه الشيخ حمو بن عمر فخار -رحمه الله- فرسي رهان في المنافسة لتحرير أحسن مقال ينال الحظوة الأولى في مجلة الشباب[33] سيما في العدد الممتاز منها.

الأثر التربوي لشخصية الشيخ بيوض في تلاميذه:

لقد اعتنى الشيخ بيوض أشد العناية بالناحية التربوية والخلقية في التلاميذ، وكان أحسن وسيلة وأبلغها للتأثير فيهم أخلاقيا هي شخصيته القوية الفذة؛ التي يشعر التلميذ أنه يغشاه بها من كل نواحيه؛ ويؤثر فيه في كل جهاته، وكان لشدة صفائه وحسن طريقته؛ وعمله لله سبحانه وتعالى؛ وحبه لتلاميذه حبا دونه حب الوالدين البارين لوحيدهما، ولشخصيته الأدبية الظريفة ولحسن عشرته، وبالغ لطفه، وكان يحب تلاميذه حبا جما، فألفهم الحب الشديد إليه، وصار هو مثلهم الأعلى يعجبون بعمله وخلقه فنهجوا نهجه، وواظبوا على سيرته، فتعلموا منه صفاء الطوية وحسن العشرة والتضحية والعمل لله والاعتماد على النفس[34] وغيرها.

---

[32] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث ص25.
[33] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث ص43.
[34] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص27.

إخوان الصفاء

كان جو الصفاء يعلو أجواء المعهد دائما، يذكيه الشيخ بيوض بشخصيته الفذة والشيخ عدون كذلك.

وكان جو الصفاء والمحبة هو أول ما راق لمحمد علي في معهد الحياة، إذ سرعان ما وجد نفسه يحب كل من فيه سيما أساتذته وطبقته. ثم تأكدت المحبة بينه وبين ثلة من إخوان الصفاء. فصارت القرارة في نظره هي الفردوس، لما يجد فيها من متعة القلب؛ ولذات الروح؛ وإخوان الصفاء جماعة في عشرة أشخاص كلهم من القرارة إلا هو فمن بريان[35].

ويقول محمد علي عن هاته الرابطة:

(ربط بيننا الحب في الله؛ ومزجت بيننا الميول الواحدة؛ والفطرة السليمة والحب الشديد للعلم والطموح فيه؛ وعشق الأدب والاشتغال به، فأصبحنا إخوان الصفاء حقا، يشعر كل واحد منا بالآخر أنه هو.....)[36].

ويقول:

(أحلف بالله لقد تقلبت في عدة أقطار راقية، واتخذت كثيرا من الإخوان فيها، ما منهم إلا وهو أديب؛ أو عالم؛ وخاصة في قومه؛ وفاضل في زمانه؛ فما وجدت فيهم كل ميزات إخوان الصفاء، سيما نقاء النفس، وطهارة القلب، والتجرد من الأنانية، والحب الخالص لله، ولا استطاعوا أن يسعدوني كإخوان الصفاء، إنهم أبناء القرارة الأطهار)[37].

ومن أبرز إخوان الصفاء هم السادة: أحمد بن عمر الشيخ أحمد ؛ ومحمد ابن إبراهيم مرموري وعيسى بن الحاج عمر بوحجام ؛ وسعيد بن عبد الله الشيخ دحمان؛ ومحمد بن الحاج الناصر جهلان؛ ومحمد بن بكير جهلان؛ وعلي بن عيسى تاوريرت؛ والحاج ابراهيم بن أحمد خياط[38].

وقد توطدت هذه العلاقة المباركة المقدسة وتمت وانضم إليها أصدقاء جدد. صاروا من عداد إخوان الصفاء، منهم يحي بن الحاج محمد ابن الناصر، ويوسف بن يحي حشحوش؛ ويوسف بن الناصر خرفي؛ وعمر بن الحاج سعيد أبسيس، وعمارة بن إبراهيم بن أعمارة؛ ومحمد بن الناصر ملالي؛ ومحمد بن يحي سليماني، وعاشور بن الحاج موسى عاشور؛ وسليمان بن إسماعيل الوارث[39].

---

[35] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص61.
[36] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص62.
[37] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص62.
[38] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني.
[39] أعلام الإصلاح في الجزائر . الجزء الثالث . ص: 10-11.

وكانت لهم جلسات تضمهم وتجمع شملهم، ولم يكن شيء يستطيع أن يفرق بينهم حتى السفر، وبعد الشقة، فكانت الرسائل الأدبية تترى بينهم. تعضد رابطتهم المقدسة؛ وتشدّ وشائجها المباركة. ولم يكونوا يتبادلون الرسائل عندما تفصل بينهم المسافات الشاسعة بل حتى وهم في القرارة، يلتقون كل يوم في حلقة الشيخ بيوض ويجتمعون في جلساتهم الودية، وكان عيسى بن الحاج عمر بوحجام يتبادل مع محمد علي دبوز الرسائل في كل أسبوع وهما تلميذان في حلقة واحدة، ومنزل أحدهما لا يبعد عن الآخر إلا بأمتار معدودة، وكان عيسى بن الحاج عمر يكتب إليه رسالة في الأحد من كل أسبوع ويجيب له محمد بالأربعاء من نفس الأسبوع؛ ولهذه الرسائل قيمة عظيمة في الصياغة الأدبية ومتانة الأسلوب[40]، فكان لها الأثر في تهذيب محمد علي دبوز وصقل أسلوبه، شحذ أفكاره وترتيبها وتجديدا باستمرار، وهذا ما أقره بنفسه في عرس صديقه عيسى.

ومازالت هذه الرسائل تشهد على العلاقة المتينة، وعلى روعة الأسلوب، وهي أعز ما كان محمد علي دبوز يدخره ويحتفظ به. وإنها بحق صفحات ذهبية في الأدب العربي وفن الصناعة، والصياغة[41].

[40] شريط عرس أحد أبناء لذالحاج عيسى بوحجام سنة 1962 مكتبة الشيخ محمد على دبوز.
[41] أرشيف مكتبة الشيخ محمد على دبوز- باب الرسائل -.

دراسته العليا في تونس الخضراء

عقد العزم بعد تخرجه من معهد الحياة أن يتجه إلى تونس الخضراء لمزاولة دراسته العليا، رغم رفض والده القاطع خوفا عليه، ومحاولات الشيخ بيوض والشيخ عبد الرحمان بكلي لإقناعه.

كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها ونيرانها مستعرة، وقد غلقت الحكومة الفرنسية كافة الحدود الجزائرية، سيما التونسية لكثرة التنقل منها وإليها، ولا تسمح بالسفر إلا برخصة رسمية. ولم تكن مفروضة على الجزائريين إلى خارج الوطن، بل حتى في داخله، وتشدد في منحها ولا تعطيها إلا بعد وقت طويل ولمن تشاء[42].

وكان السفر إلى خارج الجزائر متعذرا على طلبة العلم ناهيك أن الحكومة الفرنسية تراهم مشوشين كبارا للأمن. ولكن الجزائري – ولله الحمد- تزيده العقبات والسدود عزيمة ومضاء، وإقداما وجرأة.

ولقد غامرت جماعة من طلبة العلم إلى تونس فسافرت من دون جواز سفر على طريق الجبال الصعبة، ومن الطرق البعيدة الملتوية التي تقل فيها الرقابة، ومن هؤلاء المغامرين إلى تونس محمد علي دبوز؛ سافر إليها من دون جواز سفر، حفظه الله في طريقه الطويل الملتوي، فوصل تونس الخضراء، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل إليها. فيكوّن نواة البعثة البيوضية التي استمرت بعد ذلك وبارك الله فيها.

وكان سفره إلى الخضراء في شهر سبتمبر 1942[43].

وفي شهر يونية 1943م وصل صديقه عيسى بن الحاج عمر بوحجام من دون جواز سفر كذلك، وفي سبتمبر من نفس السنة وصل كذلك الحاج محمد بن إبراهيم مرموري، وتكونت بهم البعثة البيوضية، وإن لم تكن بهيكلها وإدارتها وقانونها كما أصبحت فيما بعد لما كثر التلاميذ الوافدين من معهد الحياة.

ودخلوا جامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون، وأسرعوا إلى مكتبات تونس العامرة، سيما المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين.

ودام محمد علي في الدراسة والتحصيل ثلاث سنوات بين معاهدها ومكتباتها إلى سنة 1944[44].

---

[42] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص164.
[43] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص165 .
[44] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني ص165.

دراسته العليا في مصر ومغامرته إليها

تعلقت همته بالتوجه إلى مصر، كنانة الله في أرضه، وحاضرة الثقافة العربية والإسلامية في ذلك العصر لما تتوفر فيها من جامعات ومعاهد وتحتويها من عباقرة الأدب العربي والفكر الإسلامي؛ أمثال الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والدكتور أحمد أمين و عباس محمود العقاد وأنور الجندي وغيرهم الكثير الذين لا يشملهم حصر، ولما تتوفر فيها من الكتب والمجلات النادرة التي لا تصل إلى تونس إلا لماما؛ لسبب ظروف الحرب، ولما تحتويها أيضا من خزائن عامرة بالمخطوطات في جميع الفنون الثقافية.

أسرّ محمد علي لصديقه محمد مرموري بما صبت إليه همته، واستقر عليه عزمه، ويا ما حاول أن يثنيه عن قراره، لعلمه أن الطريق إلى مصر محفوف بالمكاره الجسام؛ والخطر محدق بها لأن الصحراء الليبية التي سيعبرها إلى مصر كانت إحدى بؤر الحرب بين القائد "رومل" الألماني و"مونتغمري" البريطاني، ولكن محمد كان مصراً على عزمه وقال لصديقه:

((يجب أن نكون كما عودنا أستاذنا الشيخ بيوض في الإقدام دوما؛ مهما كانت الصعاب وطالب العلم لا يعرف الإحجام أبدا؛ وهو مثل الدبابة الحربية لا تحجمها الوهاد ولا التلال ولا كل مسلك وعر أو أية عقبة كؤود، وهكذا يجب علي أن أكون، حسبي الله ونعم الوكيل...!)) [45]

وارتأى في كيفية سفره فرأى أن يتنكر في زي الأعراب، ويرافق إحدى قوافلهم عبر الصحراء الليبية حتى مصر، وبما أن سحنة وجهه لا تمت إلى سحنات الأعراب إذ هو أبيض مشوب بحمرة؛ فقد جلس على شاطئ البحر التونسي أياما حتى لفحته أشعة الشمس، ولما تم له التنكير؛ وجد في جبهته آثار القبعة التي لبسها في شاطئ البحر، وعاد إليه معرضاً إياها للأشعة مرة ثانية[46].

وقبل مغادرته تونس طلب صديقه مرموري أن لا يخبر بأمره أيا كان حتى يقدر وصوله إلى مصر، سيما والديه عند استخبارهما عنه؛ لأنه وحيدهما، ورافق القافلة سيرا على قدميه مخترقا معها نيران الحرب المستعرة، حتى وصل إلى مصر، وكانت مدة سيره تسعة وعشرين يوما كما يذكر الشيخ عبد الرحمان بكلي - رحمه الله - [47]

وفور وصوله إلى مصر التحق بجامعة القاهرة، وانخرط فيها بمساعدة أستاذه الدكتور عزام مستمعا إذ لم تكن له الشهادة التي تخول له الالتحاق بها رسميا، ووجد فيها وبدار الكتب المصرية بغيته التي كان ينشدها، ونهل منهما وفتحت أمامه آفاقا علمية واسعة؛ ساعدته على التخصص في علم النفس؛ والتاريخ والأدب العربي، وتعرف على الأدباء المصريين الكبار أمثال محمد عطية الأبراشي وأنور الجندي وغيرهما.

---

[45] شريط مسجل مع الحاج الناصر المرموري عن علاقته بمحمد علي وقع التسجيل سنة 1982.

[46] درس العلامة الشيخ بكير أرشوم في مسجد بريان في تفسير سورة النمل.

[47] كلمة الشيخ عبد الرحمن بكلي في تأبين الشيخ محمد علي دبوز.

ولقد رابط بدار الكتب المصرية باحثا، وأصبح الكرسي رقم (61) فيها يعرف " بكرسي محمد علي" من طول عشرة ودوام مصاحبة[48].

ودرس هناك على يد كثير من نبغاء مصر أمثال الدكتور أحمد أمين، وعباس محمود العقاد وغيرهما.

وتشهد على جده وتحصيله؛ كراريسه ومذكراته التي جمعها في مصر، ودام هناك في القاهرة إلى سنة 1948م يتحمل النفقات المادية المرهقة، ويتجرع غصص شظف العيش؛ وصبر للعذاب النفسي في غربة موحشة وكثيرا ما يضطر إلى نسخ المخطوط في كراسه بخطه الجميل قبل توفر آلات النسخ والتصوير؛ من دون أن يأبه إلى كبر حجمه كما فعل مع مخطوط "كتاب طبقات المشائخ بالمغرب"، "لأبي العباس أحمد الدرجيني" في مجلدين وعدد صفحاته يربو على سبعمائة وخمسين صفحة.

ومما يدل على حرصه في التعلم وقساوته على نفسه حتى لا تنشغل بما يصدها عن التعلم أو يشغله عنه: كانت تفد إليه العديد من الرسائل من وادي ميزاب وبالخصوص من والده الحاج علي بعد أن علم بأمره، ولكنه لم يرد فتحها وكان يتركها بختمها؛ ويودعها في كوة ويوصدها بما يحجبها عن نظره، وتجمع فيها العديد من الرسائل.

ولما ملأ وطابه من المعرفة وتخصص في التاريخ والأدب وعلم النفس، وزم حقائبه ليعود إلى بلده وقبل ذلك، فض ختم هذه الرسائل، ووجد فيها من الأخبار المقلقة المشوشة، بحيث تستطيع رسالة واحدة فقط أن تقلق باله وتصده عن طلب العلم وتنكصه على أعقابه إلى بلده. وعلم من هذه بوفاة أحد أعز الناس إليه، ومن تلك إشاعة مغرضة ألصقت به، وهي أنه قد تزوج مصرية شقراء وأنجبها أولادا واستقر به المقام في مصر إلى الأبد ومن الأخرى إلحاح أبيه منه بإصرار الرجوع إلى بلده بعد تطليقه المصرية، وهكذا دواليك[49]... !

وإثر قفوله من القاهرة أقيم له حفل مشهود في وادي ميزاب وفي القرارة خاصة، وفرح برجوعه أستاذه الشيخ بيوض إذ استقبله بمعية عزابة ومشائخ وطلبة القرارة عند وادي زقرير قبل الدخول إلى القرارة، لأنه أول من يتخرج بشهادة جامعية من تلامذة المعهد، وأول تلميذ منه يدرس في جامعة القاهرة، وفي القرارة نظم له حفل رسمي بهذه المناسبة، وبعد أن قدّم الشيخ بيوض كلمته نادى طالبه محمد علي وقبله أمام الملإ على جبينه قبلة اعتراف واحترام وتقدير.

---

[48] الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ دكتور محمد الناصر ص16.

[49] أرشيف مكتبة الشيخ محمد على دبوز.

الباب الثالث

اشتغاله بالتربية والتعليم بمعهد الحياة

حين رجوعه إلى وادي ميزاب سنة 1367هـ/ 1948م بعد انتهائه من دراساته الجامعية دعاه أستاذه وشيخه للقيام معه بالواجب الوطني والديني، في ميدان التربية والتعليم؛ وندبه إليها وكان عند حسن ظن شيخه، وشمر لمهنته في تفان وأسندت إليه المواد التي تخصص فيها في الجامعة، فدرّس الأدب العربي مع تاريخه، والبلاغة؛ والصرف والنحو، والتاريخ الإسلامي وما قبله، سيما التاريخ الحديث وعلى الأخص تاريخ الدولة العثمانية، واهتم بتاريخ المغرب الكبير قبل الفتح الإسلامي وبعده، ثم الدولة الرستمية؛ لما وقع لها من إجحاف في حقها التاريخي ودرّس كذلك الفلسفة؛ وعلم النفس؛ والمنطق؛ ومناهج التعليم، وهو أول من تولى تدريس مادة علم النفس في المعهد، ولا تزال تدرّس إلى يومنا هذا.

أسباب إهتمامه بالتاريخ.

التاريخ هي المادة التي أولى لها كبير اهتمامه عند بداية مهمته التربوية، لأنه صدمه سببان جعلاه يراعيها كل الرعاية:

السبب الأول:

المغالطات التاريخية التي تكتظ بها المصادر القديمة، وما فيها من تعصب بيّن في هذه المؤلفات، التي كان أغلبها يكتب استجابة لنزعة قبلية أو أجنبية أو مذهبية أو ملكية أو دينية، فقد كان وراء العديد منها الملوك والحكام الذين كانوا يحاربون معارضيهم بتشويه تاريخهم، وإلباسهم لبوس الخروج عن الجماعة الإسلامية، وهذا ما ارتكب في حق الإباضية أهل الدعوة والاستقامة[50].

هذا من جهة ومن جهة ثانية: ما قام به الاستعمار الفرنسي من تشويه للتاريخ الجزائري لأغراض دنيئة في نفوسهم، منها سعيهم لجعل الجزائر أرضا فرنسية محضة، إذ لا يتم لهم هذا إلا باستئصال جذور أصالتها الإسلامية، ودك أسس شخصيتها العربية والأمازيغية.

وقام مؤرخوهم بإيعاز منهم بتزوير العديد من الحقائق التاريخية؛ حتى تحدث للجزائريين عقدا نفسية سيئة ضد تاريخ بلادهم المجيد.

ولقد أثبتوا للجزائريين سيما البربر أن الفتح الإسلامي؛ بمنزلة الاستعمار العربي للجزائر، وأنهم كانوا في ظل الاستعمار منذ القرن الأول الهجري من لدن عقبة بن نافع الفهري

[50] الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ دكتور محمد الناصر ص17.

إلى القرن الثاني عشر الهجري، وأنها -أي فرنسا- هي التي حررت الجزائر من هذا الاستعمار في العصر الحديث الذي دام ثلاثة عشر قرنا[51]، هذه إحدى الأمثلة لتشويه الاستعمار للحقائق.

ومن الأمثلة الأخرى: أن المؤرخين الفرنسيين يزعمون أن أصل الجزائريين - عرقيا- ينحدر من بلاد "الغال LAGAULE" بجنوب فرنسا.[52].

واستغلوا كذلك الصراع الذي كان بين سكان بلاد المغرب والدولة الأموية ثم الدولة العباسية ليبثوا فيه أكاذيبهم المغرضة المفرقة وينفثوا سمومهم الصليبية [53].

هذا هو السبب الأول الذي جعل الشيخ محمد علي دبوز يهتم بالتاريخ حتى ينقحه ويجلي عنه كل ما يشوبه.

السبب الثاني:

اصطدم من جهة أخرى بالأسلوب العلمي الجاف؛ الذي يقدم المعلومات في قوالب حجرية جامدة لا تستثير عاطفة؛ ولا تحرك إحساسا، أو هي تستطرد في متاهات من التفاصيل؛ التي تشوش الذهن، أو تنأى عن الحقائق إلى جزيئات هامشية لا غناء وراءها [54].

إلى جانب هذين السببين؛ ساءه أن لا يجد كتابا دراسيا في تاريخ المغرب، يليق للثانوي على الروح التي يريدها، وعلى الأسلوب الذي ينبغي، وعلى المنهاج الذي يحقق النتائج التربوية من التاريخ، فكان عقب كل محاضرة يكتب نصوصها وخلاصتها للتلاميذ؛ بأسلوب أدبي رائق يزيد للتاريخ وضوحا، ويكسبه طلاوة؛ تحببه إلى النفوس، وبروح مؤثرة تجعله ذا آثار بالغة في النفس، وكان إقبال التلاميذ على تلك الخلاصات وانتشاؤهم بدراستها؛ ورغبتهم فيها، وتأثرهم بها أكثر مما كان ينتظر، وأبلغ مما رجا.

واستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكون منها كتاب هو الذي أقره المعهد في تاريخ المغرب الكبير.

منهجه في التربية والتعليم

إن أول مبدأ يؤمن به محمد علي في أداء رسالته التربوية، هو حب المادة العلمية، والغرام بها، وتعشقها وهذا يؤدي إلى التفاني فيها، ويعتقد أن هذا هو الأساس الأول والأوكد بعد التوكل على الله في نجاح الأستاذ في مهمته والطالب في تحصيله.

---

[51] التعليم القومي والشخصية الجزائرية . الدكتور تركي رابح .ص192.
[52] المصدر السابق .ص193.
[53] تاريخ المغرب الكبير الجزء الثاني . ص8.
[54] الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ دكتور محمد الناصر ص17.

لذا كان يسعى كل جهده لتحبيب المادة العلمية لدى الطلبة وتقريبها إلى نفوسهم؛ حتى تحتضنها جوانحهم؛ ويتبع في سبيل تحقيق هذه الغاية عدة وسائل أهمها.

أولا:

إبراز الفوائد العظيمة التي يجنيها الطالب من المادة العلمية ويبين له أسباب تعلّمها ؟ وما الهدف منها ؟ وماذا يجني منها ؟ في حياته العلمية والعملية ، ولقد أولى رعايته الكبيرة لهاته النقطة.

ثانيا:

تقديم المعلومات التاريخية في أسلوب أدبي يستحوذ على اهتمام النفس ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف.

لقد كان يراعي أشد الرعاية جو الصفاء والوئام، بين التلاميذ في فصله، ولم يكن يشعرهم أنه المسؤول عنهم؛ أكثر مما يبين لهم كونه صديقا؛ شفوقا؛ رحيما بهم يحوطهم بعين رعايته، ويهتم بأمورهم ويصفي لهم الود الخالص.

وكانت شخصيته المرحة تضفي على فصله روح الدعابة والفذلكة بين الفينة والأخرى تكون محطات استجمام لنفوس الطلبة من كد الانكباب؛ ووصب الجد مما حدا بهم الشوق إلى ساعاته الدراسية التي كانت أحلى أوقاتهم وأمتعها في نفوسهم، وهذا الذي جعلهم يتأثرون به أيما تأثر، ولم يكن يراعي الناحية التعليمية في تلاميذه أكثر من اهتمامه بالناحية التربوية، يراها الأساس الأوكد لنجاح الأولى.

لذا بذل كل وسعه لإبراز الخصال الإسلامية؛ والأخلاق الفاضلة في طلبته سيما تلك التي تخص علاقتهم بأساتذتهم والتحصيل.

وأهم الفضائل التي يهتم بها ويدعو إليها هي:

الصفاء: صفاء الطوية من كل الأحقاد وأدران النفس، وسلامة القلب، وكان يدعو طلبته إلى الصفاء والتخلق به، لعلمه أنه من الأسباب الكبرى لنجاح رسالة معهد الحياة؛ سيما في أحلك ظروفه؛ في أطواره الأولى: العشرينيات والثلاثينيات، ويدعو إليه في كل حفل وعرس ومهرجان، يحث على تآخي الجزائريين ونبذ ما يشين بعلاقتهم ووحدتهم ، وقد أشار إلى ذلك في العديد من أبواب كتبه [55].

ويرى وجوب توطيد الروابط الإسلامية بين الإباضية والمالكية في وادي ميزاب خاصة والجزائر عامة، لأنه فرض ديني، وعليهم أن يكونوا كلهم متصافين فيما بينهم متآزرين ولا يتركوا للعصبية العرقية أو المذهبية الشيطانية تنخر رابطتهم وتفك عراهم وتفرق بينهم.

---

[55] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث من ص54إلى 64 وفي ص167 وغيرها

وياما دعا إلى هذا الصفاء حتى غدا من أبرز ميزات شخصيته، وإن دروسه ومحاضراته المسجلة في الأرشيف أصدق شاهد [56].

وإلى جانب هذه الفضيلة نجده يدعو إلى أخرى لا تقل عنها شأنا إنها:

الحزم: كان يحرّض عليها ويراها من مقومات نجاح الطلبة في حياتهم العلمية والعملية، وبقدر ما كان يدعو إليها؛ كان يقبّح التراخي بكل وسائله البيانية الخاصة، سيما بتشابيهه اللاذعة.

ويعلم أن هذا الخلق هو الأساس والعروة الوثقى لعدة أخلاق علمية؛ يحتاج إليه الطالب، ولا تتوفر فيه إلا بالتحلي به.

وبفضل حزمه يكون معتمدا على نفسه؛ ومنظما؛ ومنضبطا في أموره وأوقاته الدراسية، مثابرا في دروسه؛ منكبا عليها؛ حريصا فيها.

وكان يطلب من طلبته أن يكونوا حازمين حتى في مشيتهم وسيرهم في الطريق، ولقد ورث هذه الفضيلة من والدته عائشة بنت يحي التي كانت مثالا فيها ـ رحمهما الله ـ.

ومن الفضائل التي سعى إلى غرسها :

الإنضباط في الوقت: كان مثالا فيه يشار إليه بالبنان وفيه يضرب المثل، وكان صارما كل الصرامة فيه مع طلبته، ولقد اضطر كما عهدته في آخر سنة دراسية له، حظيت فيها بالدراسة عنده إلى إيصاد باب قسمه بعمود من حديد جلبه لإجل هاته المهمة، وكان يخبئه تحت مكتبه، ويقوم بهذا عندما يعلم أن وقت الدخول الى القسم قد أزف، وعندها يجد المتأخرين أنفسهم في موقف حرج مع ناظر المعهد وهو ديدنه مع نفسه شديدا عليها، وهذا ما نعلمه من قول الدكتور محمد ناصر:

« كنا طلابا بالقاهرة؛ وكنا نزوره في غرفته من حين إلى آخر، (ببنسيون) قديم في حي (التوفيقية) في قلب القاهرة، ونجده غارقا بين أكوام الكتب؛ باحثا و منقبا؛ أوبين ركام الأوراق والمسودات مصححا ومصوبا؛ وكان - رحمه الله - صارما في تنظيم وقته، لذا كان يبادرنا فور التحية مباشرة قائلا: لديكم معي يا جماعة عشر دقائق، أو ربع ساعة أو أقل أو أكثر، لم نكن نتأذى من سلوكه ذلك أبدا، بل كان مثار إعجابنا وتقديرنا لجديته في العمل، وتقديره الدقيق لقيمة الوقت، ومحاسبته الشديدة نفسه على كل ثانية من عمره [57]».

استغلال وقت السحر للتحصيل والكتابة:

كان - رحمه الله - يدعوا طلبته إلى استغلال وقت السحر للتحصيل والكتابة، ويرى أن هذا الوقت أحسن فرصة للذهن، ينشط فيها حيث يكون هادئا مستريحا مستعدا كل الاستعداد لتخزين

---

[56] أرشيف مكتبة الشيخ محمد على دبوز(الأشرطة).

[57] الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ دكتور محمد الناصر ص21.

المعلومات وللكتابة واختراع الأفكار الجديدة، نترك الدكتور محمد ناصر أحد طلبته يحدثنا عن هذه النقطة:

« لقد تعلمنا منه ذلك الشعار الذي ما زال يدوي في أنحاء النفس (عليكم بالفرس الأدهم) وهو يعني المطالعة والكتابة والعمل الجدي في السحر، حين يكون البال أهدأ والذهن أنشط والسكون يغري على العمل والتفكير حقا، وحين لا يسمع المرء إلا أنفاسه وحفيف أوراقه[58]».

وهناك فضيلة أخرى نراه دائما مهتما بها:

إنها **النظافة:** نظافة الملبس مع الاعتناء بالراحة الطيبة للجسم، وكم كان يندد بالذين لا يبالون بنظافة ملابسهم سيما الجبة وشعار المعهد (لحفاية) يأمر طلبته بتعهد مظاهرهم حتى يكون مشرّفا بهم وبمعهدهم لا مزريا، وعليهم مكافحة روائح الجسم الكريهة؛ سيما في الصيف حين تنجم من العرق وبالخصوص" صنين الإبط" حتى لا يتأذى الناس بها.

وبقدر ما كان يسعى أن يكون طلته مثالا في النظافة؛ وحسن الهندام، كانوا هم كذلك يتفادون بكل وسعهم ألا يكونوا مرمى لسهام تشابيهه اللاذعة الأليمة، ويتوقونها قدر استطاعتهم.

نهجه في العقاب

لم يكن- رحمه الله - يلجأ إلى العقاب البدني إلا إذا تحتم الأمر واضطر إليه كآخر حل وعلاج وللضروريات أحكام، ونادرا ما يحدث منه هذا.

وكان العقاب الذي يتبعه هو العقاب النفسي الذي تحدثه تشابيهه القارصة اللاذعة، وإنه للعقاب الأنجع لديه، حيث يشعر الطالب بمرارة ما اقترفت يداه من جرم حين يصوره له أستاذه في صورة بيانية حسية قبيحة، فيدرك أبعاد هذا الجرم الوخيمة عليه، ويستيقظ ضميره من غفوته ليجبر فيما قصر، وكم من جرم أعيى أساتذة المعهد ولم يفلح فيه العقاب البدني ويجعل الشيخ محمد علي صاحبه يتخلى عنه عن قناعة وذلك بواسطة تشابيهه، وهم يغبطونه على هذا، وكان الطلبة بقدر ما يتوقونها فإنهم يميلون إليها، لأنها تنشر روح الدعابة والفذلكة في الصف.

ماذا يشترط في مدرس التاريخ

يشترط على مدرس التاريخ على الخصوص أن يتحلى بصفات أساسية، وينهج أسسا يراها واجبة؛ لينجح في أداء واجبه على أحسن ما يرام، وهذا ما بينه في كتابه " تاريخ المغرب الكبير" الجزء الثاني تحت عنوان:" ماذا يشترط في مدرس التاريخ."[59].

وسنحاول تبيين هذه الأسس فيما يلي:

---

[58] الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ دكتور محمد الناصر ص21.
[59] تاريخ المغرب الكبير الجزء الثاني . ص23.

أولا:

لكي يؤتي التاريخ ثماره ونتائجه التربوية العظمى؛ يجب أن تلقن دروسه بتحليل علمي، وروح خطابية في أسلوب طلبي.

ثانيا:

يجب أن يتمتع المدرس بشخصية قوية؛ حتى يؤثر في النشئ؛ حين تقديم الحقائق التاريخية.

ثالثا:

يجب أن ينبع التاريخ من أعماقه؛ متأججا بوجدانه، ومن عقله ممتلئا بفلفسته لا من لسانه؛ فيكون أخبارا باردة يسردها ، وأنباء عتيقة ميتة يحكيها.

رابعا:

إن المربي لا يستطيع أن يكون على ذلك الحماس؛ وعلى تلك الروح المؤثرة القوية في التاريخ إلا إذا أتى بدروسه وبمحاضراته في رأسه؛ لا في كراسه.

خامسا:

لتحقيق النتائج التربوية بالتاريخ؛ يجب أن يتحمس المدرس والمحاضر المربي للفضيلة في تاريخ العظماء؛ ولكل الأشياء الحسنة في الأمة التي يدرسها، كما يجب أن يمتلئ كرها للرذيلة وللخيانة ورقة الدين؛ ولكل الأشياء السيئة.

سادسا:

إن التاريخ فن فلسفي، علمي، أدبي، يجب أن لا يسند تدريسه إلا للفصحاء، والذين وهبهم الله اقتدارا في التعبير وكانت الشخصية الخطابية فيهم قوية.

سابعا:

يجب أن لا يسند التاريخ لمن كانت شخصيته علمية محضة، فإنه يقتله ولا تجدي معلوماته الغريزة فيه، وذاكرته المحشوة بالمعلومات.

اهتمامه برسم الخرائط والتحضير

لم تكن الخرائط التاريخية متوفرة في الأربعينات من هذا القرن، لذا كان يرى لزاما عليه أن يرسمها وكان يبذل الوسع الكبير لرسمها في السبورة وتبيين معالمها بالألوان الزاهية، وكم

كان يضنيه هذا العمل الشاق ورسم الخرائط ليس أمرا هينا، وكان يبكر إلى المعهد بوقت طويل قبل الموعد الدراسي حتى يتم له ذلك.

كما كان يرسمها في إطارات كبيرة ويعلقها لوقت الحاجة في جدران قسمه، وما زالت باقية تدل على مجهوداته فيها. "[60].

وقد كان يهتم الاهتمام البالغ في تحضير دروسه مسبقا، ويرى هذا أمرا ضروريا أكيدا عليه، ويقوم بتهيئة الخلاصات التي يمليها على طلبته، والتمارين التي يختبر بها معلومات الدرس السابق، ودائما كان يسبقهم في الفصل، يقوم بتهيئته وتعطيره بالبخور، وفتح النوافذ، وما أن يصلوا حتى يجدوه في أتم الاستعداد لهم.

[60] أرشيف مكتبة الشيخ محمد على دبوز.

الباب الرابع

آثاره التاريخية وما لم ينشر من آثاره الأدبية والتربوية

تولى الشيخ محمد علي دبوز – رحمه الله – نشر بعض آثاره التاريخية فقط، ولا يسعنا في هذه العجالة إلا ذكر عناوينها، فهي موجودة كلها في مكتبته في بريان ولاية غرداية.

تاريخ المغرب الكبير من الحجم الكبير في ثلاثة أجزاء(1520**صفحة**).

نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في ثلاثة أجزاء (890**صفحة**).

أعلام الإصلاح في الجزائر في خمسة أجزاء(1321**صفحة**).

ومن أراد التعرف على نهجه في تأليفها؛ فليقرأ كتاب " محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ " للدكتور محمد ناصر، نشر مكتبة محمد علي دبوز، مؤلفاته موجودة في معظم مكتبات الجامعات والمساجد ودور الثقافة ... وزعها عليهم هو بنفسه، لتكون إلى أيدي الباحثين والطلبة أقرب.

وآثاره – رحمه الله – تنحصر في: التاريخية، والأدبية، التي لم ينشر شيئا منها واكتفى بما نشر في المجلات، والتربوية التي لم ينشر منها شيئا كذلك، وهي تتناول منهاج التربية والتعليم في معهد الحياة وتبين المبادئ الأساسية التي يجب أن تتوفر في المدرس، ويسير في منهجها. وسنذكر التي أعدها للطبع ثم عدل عنها إيثارا للإيجاز فهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما حذفه منها أصلا ولم يطبعها.

القسم الثاني: ما قام باختصار بعض أبوابها للنشر وحذف الباقي منها وهو الأغلب وفي كلتي القسمين هي صالحة للنشر أسلوبا ومادة كما يصرح بذلك.

القسم الأول. الآثار التي حذفها:

1)الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس:

كتاب يتناول سيرة الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ وميادين جهاده التربوي والتعليمي والإصلاحي، وهو دراسة تحليلية يهتم بالجوانب التي أثرت في حياته؛ وبلورت شخصيته الاجتماعية والعلمية سيما دور والديه وشيخه الونيسي، وهو ترجمة كاملة وافية لحياة ابن باديس كان الوالد - رحمه الله - عازما على نشرها في كتاب نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني؛ ولكنه عدل عن ذلك لصدور عدة مؤلفات في ذلك الحين حول حياة ابن باديس، ولضخامة كتاب نهضة

الجزائر ورجا الإيجاز وهو الأهم وخاف غلاء أسعار الطباعة في الجزائر كونه المتكفل الوحيد بتمويل تكليف الطباعة الباهضة، وترك طبعه إلى فرصة أخرى، وهذا الكتاب يربو عن مائة صفحة.

2)حياة المجاهد المخلص الدكتور محمد بن العربي.

3)جانب من تاريخ الحاج بكير العنق:

حذف جانب نسبه؛ وأدواره في التعليم ويقول الوالد عن سبب هذا الحذف: هذا الجانب لم ينشر إيثارا للإيجاز لطول الكتاب وهي مفيدة تنشر إذا خصص لأبطال القرارة يوما كتابا، وهذا ما أرجوه من أحفادي أن يفعلوه[61].

وما بقي لم ينشر يملأ كتابا إن شاء الله.

4)حالة ميزاب وجنوب الجزائر قبل النهضة.

يقول - رحمه الله - إن هذا الفصل ينقص من بابه في الجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر لإيثار الاختصار، وسينشر لاحقا - بحول الله - بعد تصحيحه وحذف الزوائد منه، إذا أعيد طبع الجزء الثاني من نهضة الجزائر.

5)فصل عن تاريخ البعثة البيوضية في القرارة.

وهو يتناول دور عمر بن سليمان بودي وباحمد بن عمر أوراغ في البعثة البيوضية وآثارهما العظيمة فيها.

6)جمعية قدماء التلاميذ.

حذف فصل جمعية قدماء التلاميذ، ويقول إذا أعيد طبع الكتاب ينشر كله.

7)البطل المخلص أبي سعيد بن الحاج دواد.

حذف ترجمة هذا البطل وقد كتبها للجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر الحديثة؛ فضاق عنها نطاقه.

8)شباب النهضة الحديثة في ميزاب.

حذف هذا الفصل من أجل إيثار الاختصار، وكان من المفروض أن ينشره في الجزء الثاني من نهضة الجزائر الحديثة.

---

[61] * لقد كان ذلك نحن أبناؤه في عزمنا ،ولقد شرعنا في طبعها .ولن مشروع الطبع تعطل للإهتمام ببناء مكتبة الوالد –رحمه الله-،وها نحن الآن نحتفل بيوم افتتاحها.

9)تاريخ العلامة الشيخ سعيد شريفي"الشيخ عدون".

القسم الثاني:الأبواب والفصول التي اختصرها.

1)عهود الظلام في الجزائر

اختصر هذا الباب الذي يقع في سبع صفحات مقاس21×28.

انتهى من تحريره يوم 09رجب1386هـ /22 أكتوبر 1966م.

2) العلامة الشيخ بن الحاج إبراهيم بن عيسى أبريكي.

قال الوالد: اختصرته في الجزء الأول من نهضة الجزائر الحديثة، وما بقي صالح للنشر كله في كتاب أسلوبا ومادة، إنه يمثل المعاهد الراقية؛ وطريقة التربية والتعليم في ذلك العصر ويجب نشره كما هو في كتاب مستقل.

3) الشيخ الحاج الناصر كروشي.

قال رحمه الله: اختصرت هذا الباب للجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر الحديثة لكبره وهو كله صالح للنشر أسلوبا ومادة.

4) الشيخ الحاج بكير العنق.

قال رحمه الله: اختصرت تاريخه وما بقي لا يخلو من فائدة مادة وتاريخا.

5) العالم الشيخ إبراهيم بن بكير حفار.

قال ـ رحمه الله ـ أختصرت هذا الباب لطول الكتاب، وما تركناه منه كان لإيثار الإيجاز؛ لا لضعف مادته التاريخية ما ورد فيه هو الصواب.

6) الشيخ الحاج محمد بن إبراهيم الطرابلسي.

اختصر هذا الباب لنفس العلة وهي إيثار الاختصار.

7) الشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي.

قال ـ رحمه الله ـ هذه الأبواب أعيد تبييضها، واختصارها، وهي تشمل على حقائق تاريخية مهمة، لم تنشر لضيق نطاق هذا الكتاب: الجزء الثاني من نهضة الجزائر.

آثاره التاريخية التي كان يدرسها:

1)تاريخ الجزائر.

يتناول تاريخ الجزائر قبل الإسلام بين الدول البربرية، ثم تطرق إلى الفتح الإسلامي إلى ولاية موسى بن نصير77 هـ.

2) تاريخ الفينيقيين.

يتناول تاريخ الفينيقيين وحضارات البربر قبل الإسلام.

3) التاريخ الإباضي.

يدرس التاريخ الإباضي من لدن نشأته؛ إلى زمن تأسيس مدينة تهيرت.

4) تاريخ المغرب الإسلامي.

يتناول التاريخ الإسلامي في المغرب، من ولاية محمد بن الأشعث إلى ولاية روح بن حاتم.

5) تاريخ الدول الإسلامية في المغرب الكبير.

يدرس تاريخ الدول الإسلامية في المغرب الكبير، وهي: الأغلبية و الإدريسية؛ والعبدية وبني حمدون؛ والصنهاجية؛ وبني حماد؛ والمرابطين.

6)تاريخ المغرب الإسلامي.

يدرس تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي سنة28هـ؛ إلى ثورة البربر على الحكام الأمويين والعباسيين، ثم تاريخ الدولة الرستمية؛ من النشأة إلى ولاية محمد بن أفلح.

7) الدول الموحدية والحفصية وبني زيان.

يدرس هذه الدول: الدولة الموحدية؛ والدولة الحفصية؛ ودولة بني زيان.

8) تاريخ الدولة العثمانية.

وهو يقع في جزئين ولقد عانى الوالد في كتابته لقلة المصادر التاريخية، وهو صالح للنشر.

ويدرس فيه جميع أدوار الدولة العثمانية؛ من نشأتها إلى سقوطها.

آثاره التربوية

ترك الوالد عدة آثار تربوية قيمة منها:

1) المنهج التربوي للتدريس.

موضوع تربوي يتناول المنهج التربوي في كيفية تدريس المواد المقررة في معهد الحياة ويتناول كل موادها من التفسير إلى جمعية الشباب ومجلة الشباب؛ وكيف يجب أن تكون؛ إلى الرياضة البدنية؛ وكيف يجب أن تمارس.

2) المبادئ العامة في منهج التعليم.

ويتناول هذا الموضوع المبادئ الأساسية العامة التي يجب على المربي والمدرسة أخذها بعين الاهتمام في منهج التعليم.

3) معهد الحياة للتربية والتعليم.

يتناول موضوع البرامج والمناهج التي يجب اتباعها في التربية والتعليم بمعهد الحياة.

4) توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإدارتنا.

يبين الصفات والمبادئ التي يجب أن يتخلق بها المربي والمدرس عموما.

5) نظام تدريس الأدب في معهد الحياة.

تقرير رفعه إلى الشيخ عدون شريفي مدير معهد الحياة سنة 1953.

6) منهج المواد وتوجيهات.

تقرير يتناول منهج المواد التي يتولى تدريسها في معهد الحياة، ويقدم فيه توجيهات إلى إدارة المعهد.

7) النظافة و النظام في معهد الحياة.

تقرير رفعه إلى الشيخ عدون مدير معهد الحياة عن النظافة والنظام كيف يجب تطبيقهما في معهد الحياة.

آثاره الأدبية*[62]

كما كان للوالد كنز زاخر من الأعمال الأدبية التي لم تر النور إلا بعضا منها

1) الجهاد الأكبر:

مسرحية أدبية تاريخية؛ ذات تسع فصول، تمثل الإصلاح الاجتماعي الذي قام به المجاهدون الأولون الذين أيقظوا الجزائر، ونفخوا فيها العزة والكرامة فثارت وتحررت، كتبها في شهر ذي الحجة ومحرم 1383هـ.

[62] لم أذكر كل أعماله الأدبية ،بل هناك أعمال أخرى تتمثل في خطبه ومحاضراته المكتوبة وتحتوي مواضيع مسجلة لا يتسع المجال لذكرها.

2)الشيخ الحاج عمر بن يحي:

مسرحية تاريخية ذات اثنى عشر فصلا، وتبين الجهاد التربوي والتعليمي والإصلاحي الذي قام به الشيخ الحاج عمر بن يحي، وتقع في سبع وثمانين صفحة.

الأبناء الثلاثة:

مسرحية أدبية اجتماعية يسودها جو الفذلكة، وتقع في أربعة فصول في تسع وستين صفحة.

مسرحية إجتماعية تاريخية:

مسرحية بدون عنوان وهي اجتماعية تاريخية، تعالج الإصلاح الميزابي والجزائر عموما إلى وقت اندلاع الثورة.

مسرحية اجتماعية تاريخية:

بدون عنوان كذلك وتقع في سبعة فصول، وفي إحدى وأربعين صفحة.

بعض آثاره الأدبية الأخرى:

الفلاحة وأثرها في بناء الأخلاق العظيمة.

والفلاح ومنزلته العظيمة في الأمة.

محاضرة مكتوبة ألقاها في ليلة الخميس 12 رمضان1379هـ./10مارس في دار عشيرة كاسي والناصر في القرارة، وحضرها طلبة المعهد والعزابة من بينهم الشيخ بيوض وعلق عليها وقال: إنها تحفة شعرية، ولكن أخذ عليه تركيزه على الفلاحة على حساب التجارة ، وبين له الدافع على ذلك.

فلسفة العلم.

خطبة أعدها للاحتفال بمناسبة زيارة قيادة الولاية السادسة للقرارة وتقع في أربع عشرة صفحة.

مقالاته الأدبية

مقالاته الأدبية كثيرة جدا منها:

1)الحسد ودوره في المجتمع:

مقال كتبه بمناسبة مقاطعة الميزابيين لأسباب غير موضوعية ولا تمت إلى الدين بصلة، وذلك في صيف 1955م لم تنشره مجلة البصائر، انتهى من تحريره سحر الخميس 30ربيع الثاني 15ديسمبر1955م.

2)انتصار الحق على الباطل في وادي ميزاب:

مقال يقع في خمس صفحات بعثه إلى مجلة البصائر فلم تطبعه.

3)الأخلاق الفاضلة:

مقال يدرس الأخلاق الفاضلة وعلى رأسها الصفاء الذي ركز عليه، يقع في ثماني صفحات.

4)الشهيد:

قصة اجتماعية تقع في أربعة فصول، وهي في أربع عشرة صفحة.

5)الأمنية الغربية:

قصة تقع في أربع وعشرين صفحة كتبها لما كان في تونس الخضراء طالبا.

6)ايوب بن العباس:

قصة بطولية تمثل إحدى البطولات الجليلة في الدولة الرستمية.

7)أسباب رقي الأمة ونجاح القائد:

خطبة كتبها بمناسبة تولي زميله عمر بن سليمان بودي القيادة، في بريان في شهر نوفمبر1953م يبين له فيها أسباب نجاحه في مهمته، وقد جلدها وزخرفها؛ وقدمها له هدية.

مجلة الشباب ودورها الفعال في التكوين والتطوير

كان من أبرز المشاركين في مجلة الشباب، وقلمه ألمع فيها، ومقالاته تدل على ما وصل إليه أسلوبه من الروعة والسلاسة والمتانة.

وله في ساحة هذه المجلة جولات أدبية رائعة مع أصدقائه في معهد الحياة، مثل مقال "المنشار" وهم يضاهون بها تلك المقالات التي يدرسونها في مجلة الرسالة للشيخ أحمد حسن

الزيات وهي مجلتهم المفضلة، وما يجري فيها من معارك أدبية بين عباقرة الأدب والفكر، مثلما جرى بين الدكتور أحمد أمين والدكتور زكي مبارك، وبين الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك، وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي والدكتور طه حسين، والعقاد وغيرهما...

لقد تأثروا أيما تأثير في مجلتهم الشباب بمجلة الرسالة، وقد دخلت شبابها سنة1358هـ/1939م حين كان محمد علي طالبا في المعهد وكانت الفترة التي بين1939 و1944هي عصرها الذهبي، ويقول الشيخ محمد علي دبوز: وإنها من الوسائل التربوية الكبرى في معهد الحياة، ومجلات التدريب والتمرين المهمة، وإنها لتربية العقول، وتمرين الأقلام على الفصاحة والبلاغة، إن مجلة الشباب من أكبر الأسباب في تقديم المعهد وترقيته، ومن أقوى الوسائل التربوية التي تكونت فيه، رقت عقول الطلبة بالمقالات والقصائد والقصص التي يكتبونها، وأذكت فيهم حب الأدب. وخلقت في نفوسهم حب الجمال. وبعثهم حب الفصاحة والبلاغة على القراءة الكثيرة المفيدة، فاكتسبوا عادة الفصاحة والبلاغة [63].

نبغ في المعهد جماعة من الكتاب والشعراء. خرجوا من نطاق مجلة الشباب الضيق، إلى الصحافة الجزائرية وغيرها، وأجدوا كل الجدوى. وأصبحوا كتابا وشعراء لا معين ترغب الصحافة في نتاجهم، وتطرق أبوابهم ليمدوها بروائعهم، ومن هؤلاء الشيخ عدون سعيد بن بالحاج شريفي. والمرحوم الأديب حمو بن عمر لقمان، وعلي يحي امعمر، ومحمد علي دبوز وأحمد بن عمر والأخضر السائحي، وإبراهيم بن يحي الحاج أيوب، وحمو بن عمر فخار وصالح خرفي وغيرهم كثير. هؤلاء كلهم أبناء معهد الحياة فهو الذي أنشأهم وفي مجلة الشباب تعلموا الكتابة، فهي أكسبتهم الفصاحة، فاستطاعوا أن يرفعوا الأقلام ويكونوا من النابهين.

وهذه المجلة أسبوعية تدرس جماعيا في يوم الخميس، ولها عدد ممتاز يصدر مرة في كل سنة في آخر محرم، وفيه تكون المجلة في أبهى حللها.

ويشمر الطلبة للكتابة وعصر أفكارهم قبل مدة طويلة من وقت إصدارها، حتى يكون كل شيء ممتاز[64]. وقد اتصلت بأمانة مكتبة معهد الحياة وتسلمت منها عناوين مقالات الوالد في مجلة الشباب، وها أنا أذكرها للتاريخ وأحصر نتاجه الأدبي.

---

[63] نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثالث.

[64] ادرس مجلة الشباب في معهد الحياة في نهضة الجزائر الجزء الثالث ص 135إلى 148.

مقالاته في مجلة الشباب

الرقم	عنوان المقال	المرجع	تاريخه	العدد / السنة
01	تحليل الأبيات	52	19/9/22. 1935/12/1354	231
02	شبه حكاية خيالية	51	21/8/23. 1935/11/1354	228
03	الإعتماد على النفس	53	.12/11/20 1936/02/1354	235
04	زفرة مصاب	60	.11/11/29 1937/02/1355	252
05	الهجرة	62	.01/01/19 /4/1356 1937	256 / 11
06	إلى الرفيق الأعلى (1)	63	29/02/05. 1937/4/1356	257
07	الشباب يلبس ثوبا قشيبا	66	26/06/17. 1937/8/1356	265
08	ليلة الزهراء	67	-	269
09	إلى الرفيق الأعلى (2)	67	-	271
10	الفداء(قصة)	68	10/01/07. 1938/3/1357	274 / 12
11	آفة المتعلم	71	25/6/28. 1938/8/1357	281
12	الحديث الثاني	72	01/7/05. 1938/9/1357	282
13	كلمة في أوانها الحديث الثالث	72	1938/9/22.1357/7/26	428
14	المندبة كبيرة والميت فار	73	1938/10/06.1357/8/11	285
15	كلمة في أوانها الحديث الثاني		1938/10/13.1357/8/18	286

16	الحديث الثاني(3)	74	1938/12/22.1357/10/19	288
17	الغريب المكتب	75	ذوالحجة 1939/01/21.1357	290
18	مهداة إلى الأستاذ الرافعي كلب وفي (قصة)		/	/
19	حمائم المسجد (حول الانقلاب الأكبر في بريان الزاهر (1)	76	محرم 1358.مارس 1939	296
20	قلت لنفسي	78	1939/3/31/1358/02/09	299
30	الغصن الغريب	78	1939/4/06/.1358/02/16	300
31	من أحاديث جدي (من الشعر الملحون)	79	/	301
32	حمائم المسجد (حول الإنقلاب الأكبر في بريان الزاهر)(3)	80	/	304
33	أمال تتبخر	80	/	304
34	من نفثات قلبي بالرفاء والبنين	81	1939/11/ 23/.1358/10/10	307
35	الشقي السعيد	82	1939/02/ 01/.1358/12/22	312
36	حمائم المسجد(حول الانقلاب الأكبر في بريان الزاهر)(4)	83	1939/02/08/.1358/12/28	315
37	من صفحات البطولة	83	صفر1359.مارس1940	317
38	الصديق الخائن(أقصوصة ميزابية)	84	صفر 1359.مارس1940	317
39	من نوادر القرن العشرين الضيف الطريد(1)	84	1940/4/12/.1359/3	318
40	من نوادر القرن العشرين الضيف الطريد(2)	84	1940/5/16/.1359/4/09	319
41	الشكاية	84	1940/5/16/.1359/4/09	319
42	من أغاريد الموند	85	1940/5/22/.1359/4/15	320
43	إلى الصديق	85	1940/5/29/.1359/4/22	321

44	من معجزات الرسول خروج الأسد(قصة)(1)	85	1940/5/29/.1359/4/22	321
45	من صور سعادتي	85	1940/6/06/.1359/4/29	322
46	محمد العروس	85	1940/6/20/.1359/5/	323
47	أحلام تحققت .محمد العروس قصة ميزابية	86	1940/20.1359/5/	323
48	من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم خروج الأسد (قصة)(2)	87	1940/7/16.1359/6/12	324
49	النجم المارق	87	1940/7/16.1359/6/12	324
50	خروج الأسد (قصة)(3)	87	1940/7/23.1359/6/17	325
51	أسبوع الأنس	87	1940/7/31.1359/6/25	226
52	إلى الحبيب الهاجر	87	1940/8/14.1359/7/10	328
53	من وراء المناظر(1)	88	1940/12/12.1359/11/12	330
54	من وراء المناظر(2)	88	1940/12/19.1359/11/19	331
55	إلى الأخ الخفيف	88	1940/12/19.1359/11/19	332
56	من وراء المناظر(3)	88	1941/1/2.1359/12/4	333
57	من نفحات تاهرت(2) الإمام أفلح	81	1941/2/29.1360/1/30	337
58	من إيمان السلف:الأغر(قصة)	89	1941/2/29.1360/1/30	337
59	من وراء المناظر(4)	89	1941/3/13.1360/2/14	339
60	من وراء المناظر(5)	89	1941/3/20.1360/2/21	340
61	ضيف كريم	89	1941/3/20.1360/2/21	340
62	نضوج الأديب	90	1941/3/27.1360/2/28	341
63	دموع الحبيب	90	-	342

64	مناجاة (القصيدة)	90	ربيع الثاني 1360.ماي 1941	343
65	إلى الأخ أبي حفص النجم الهاوية	90	1941/5/22.1360/4/25	344
66	أحاديث العاصفة (1)	90	1941/6/12.1360/5/17	345
67	هذه داري وهذا وطني ولكن أين أحبابي	91	1941/6/19.1360/5/24	346
68	في منجاة الصديق	94	1940/12/30.1360/12/13	356
69	كيف	95	محرم 1361.	357
70	الخمسية الأربعون الضجر بالحياة	96	1942/3/5.1361/2/17	360
71	الخمسية الحادي والأربعون نعمة الآلام	97	1942/3/18.1361/2/30	362
72	مولد الر حمة والسلام	98	1942/5/22.1361/5/6	364
73	المنشار(1)	98	1942/5/28.1361/5/12	365
74	المنشار (2)	99	1942/6/18.1361/6/4	368

*عدد 323 خاص بزفاف الإمام الشيخ بيوض – رحمه الله –

*عدد 342 خاص إلى صديقه عيسى بن الحاج عمر بوحجام

الباب الخامس

القسم الأول

شخصيته في منزله وأسرته

نظامه اليومي:

كان عمله اليومي يبدأ في الثلث الأخير من الليل؛ على الساعة الثانية صباحا غالبا، وتجد الشاي قد أعد له سابقا، وينكب في مكتبه؛ بعد التضرع إلى الله من أعماقه مادا يدي الضراعة والابتهال أن يحوطه بعين رعايته؛ ويمده من عونه.

كان عمله في الثلث الأخير ديدنه، سيما قبيل إصدار إحدى أعماله الأدبية، حيث يكون البال أهدأ، والذهن أنشط، والسكون يغري على العمل والتفكير والتركيز حقا، وحيث لا يسمع المرء إلا أنفاسه وحفيف أوراقه وكان يؤمن بجدية العمل في هذا الوقت ويحث عليه طلبته ويقول لهم << عليكم بالفرس الأدهم >>.

يستمر في عمله إلى صلاة الفجر، وفي بعض الأحيان يشغله عن اللحاق بصلاة الجماعة. ويؤنبه المؤذن الحاج محمد بن حمو ابن الناصر، ظانا أن النوم وحرارة الفراش قد استغوته. ويجيبه الوالد رحمها الله: إنني يالحاج محمد قد أحرقت لترين من الزيت[65] في الضوء قبل أذانك الأول "غيرو".

بعد الصلاة يغفو قليلا في فراشه ليستعد للعمل الجاد في الصباح، ويكون على الساعة السابعة في أتم الاستعداد للعودة إلى مكتبه؛ أو التوجه إلى معهد الحياة، حاملا محفظته الجلدية الحمراء التي ترافقه دائما، وفيها خلاصات الدروس ومفكراته التي أعدها في الليل. ويصل إلى المعهد قبل أوانه بأكثر من نصف ساعة، حيث يستعد للدرس برسم الخرائط وكتابة العناصر الأساسية، وفتح نوافذ القسم... يعود إلى المنزل في الزوال. وكان يتصف بمراعاة ملابسه، إذ يتخذ لكل حال لبوسها. وتبقى أكثر من عشر سنوات وهي في رونقها.

أما إذا عاد إلى مكتبه في المنزل؛ فإنه بعد الدعاء والتضرع، يتلو نصيبا من القرآن الكريم، ثم يخصص وقتا للمطالعة الأدبية فغالبا ما تكون الشعرية في ديوان المتنبي شرح أبي القاء العكبري، وديوان البحتري وغيرهما، أما النثرية فهي في البصائر والذخائر لأبي الحيان التوحيدي، ومؤلفات مصطفى صادق الرافعي، ومؤلفات الشيخ عبد القاهر الجرجاني سيما دلائل الإعجاز، وكتاب عصر المأمون للدكتور الرفاعي، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وزهر الدب

[65] كانت مصابيح الإضاءة توقد في ذلك الحين بالزيت أو البنزين.

للقيرواني وغيرهما... كان يؤكد على المطالعة الأدبية ويحرص عليها، لأنها تحافظ على رونق أسلوبه، وتغذي ملكته. وتذكيها.

ثم ينكب على التأليف، إما ناسخا المادة التاريخية من آلة التسجيل، أو محررا لها، أو منقحا ومبيضا للباب.

عندما يشعر بالكد والتعب؛ يتجه إلى الكتابة الأدبية التي تستروح فيها نفسه. وغالبا ما تكون في الرسائل الأدبية إلى إخوان الصفاء، وبالأخص "الرباعي المرح" الذي يتكون من: الدكتور محمد صالح ناصر؛ والدكتور محمد بن الشيخ عدون شريفي ؛ والأستاذ ابراهيم مردوخ، والأستاذ يحي بن الشيخ أبو اليقظان، حيث يلج من خلالها باب الصفاء بكل متعها النفسية. التي يقول عنها:

<< إن أحسن المتعة ما يكون برسائل الأصدقاء، فهي سبب النشوة الكبرى والرحيق المختوم الذي لا يمل، والسحر الحلال الذي لا ينقص بهاؤه ولذته مهما طال >>[66].

عند الزوال يجلس للغذاء، ونتحلق حوله في وقار. ويسألنا عن أعمالنا الدراسية؛ ويتفقد أحوالنا الشخصية ، ريثما تحضر والدتنا قصعة الكسكس؛ يكون من القمح " إردن" أو من الشعير " تمزين" غالبا. ولا تكون من السميد إلا لماما في المناسبات. يؤكد عليهما لتوفرهما على المادة الغذائية العالية التي لا تكون في الأخير. وكان يحرضنا على تناول التمر في كل وقت وعدم الإحجام منه أبدا ويحرص كثيرا على اقتنائه من أجوده.

كان يحرص أن نتحلى بالآداب النبوية في تناول الطعام؛ بداية من الجلسة المتأدبة ثم البسملة والحمدلة في الأكل والشرب، وتناول الوجبة باليمين، ومما يلي كل منا، والمضغ جيدا وعدم الإكثار من الكلام حتى نستمرئ بوجبتنا، ويأبى أن يترك أحدنا الطعام مما يليه أو كسرة خبزه.

لا ينفض جمعنا إلا بقيامه، وكان يأكل الكسكس بيده يلقمه لقما، وتتولى أصابعه تكوير اللقمة؛ وإرسالها إلى فمه بحذاقة، يا ما حاولنا تقليده فلم نفلح وعلينا أن نرفع أدوات الطعام إلى المطبخ، وإن تبقت لنا فسحة من الوقت، علينا غسلها وترتيبها في الخزانة.

يتجه بعد الغذاء ليقيل إلى أوان صلاة الظهر. ويطفئ ضوء مكتبه القوي الوهاج ويشعل ضوءا خافتا مهدئا الأعصاب ويجلس إلى مذياعه متتبعا الأخبار السياسية، وكان يقتني مذياعا كبيرا يجلجل صوته في أنحاء المنزل لأن سمعه أصابه وقر في آخر حياته، وقناته المفضلة هي "هنا لندن".

كان يرفض التلفزة رفضا قاطعا لا هوادة فيه، لأضرارها الوخيمة الجسيمة على الرابطة الأسرية المقدسة، ويراها الفاصمة لعراها، الأصيلة. والقاصمة لوقارها وسمتها الإسلامي

---

[66] رسالته إلى الرباعي المرح الاثنين 18رمضان 1393.1973/10/15.

المحتشم، والملهية ربة البيت عن واجباتها المنزلية، سيما خدمة الصوف، والأولاد عن واجباتهم الدراسية، والمضيعة للفرائض سيما صلاة المغرب من أجل "فيلم السابعة"، وصلاة الفجر من عناء السهر.

كلما حل في بيت أحد إخوانه إلا أمر بإطفائها، إلا إذا كان فيها الأخبار أو المصارعة أو الملاكمة؛ التي يهواها ويحرض على تعلمها.

في الساعة التاسعة يتجه إلى فراشه، حتى يكون على موعد للقيام على الساعة الثانية صباحا، من عادته أن يتجه إلى فراشه مباشرة بعد تناول وجبة الغذاء أو العشاء؛ بل بعد أن يسير في المنزل أشواطا لقضاء بعض أموره؛ أو متفقدا أحوالنا؛ وأحوال المنزل مراعيا في هذه النقطة حالته الصحية، ولذا كان يحضنا ويهتم أن يأمرنا بإيصاد الأبواب وحنفية الغاز والماء، وتغطية أوعية الطعام والمؤونة، متبعا في هذا الأوامر النبوية.

لقد كان يشدد علينا في قضية تنظيف الأسنان، ونظافة غطاء المخدة حتى لا تتضرر أبصارنا، وشد "لحفاية" على رؤوسنا وقاية لآذاننا وترك باب غرفتنا مفتوحا أو مواربا، وينهانا عن تغطية وجوهنا باللحاف، ويحثنا بقراءة خواتم القرآن قبل الاستسلام للنوم سيما آية الكرسي، وكان يأمرنا بتعريض فراش نومنا كل أسبوع لأشعة الشمس يوما كاملا، وغالبا ما يكون هذا يوم الجمعة حين نقوم بتنظيف غرفتنا، وهكذا كان يقضي يومه، وكان يخصص يوم الجمعة للراحة والاستجمام أو ملاقات إخوان الصفاء.

غالبا ما يأخذنا في صبيحة يوم الجمعة إلى إحدى ضواحي القرارة أو بستان؛ لنعلب ونلهو ونتسابق في العدو والرماية، نزيل عنا وعثاء الأسبوع الدراسي، ويجلس هو تحت ظل جدار أو شجرة دارسا في كتاب أو متأملا حتى يحين وقت صلاة الجمعة.

في فصل الربيع نتوجه عائليا إلى بستان الشيخ أبي اليقظان – رحمه الله – في الضاحية الشرقية للقرارة " السحن"، أو إلى بستان الشيخ الحاج ابراهيم الأبريكي في الضاحية الغربية "إينورار" وغالبا نتوجه إلى الأول وإن كان أبعد مسافة، ونقضي فيه يومين أو بضعة أيام . كانت أحلى وأمتع وأغلى لحظات حياتنا، وما زلت أجد حلاوتها في قرارة نفسي أستمتع بها ولقد ترك هذان البستانان أثرهما النفسي فينا، وغالبا ما نتوجه إلى أحدهما قبيل الإمتحانات السنوية حتى نستعد لها، وأشهد أن لهما أياد بيضاء واضحة على دروسنا - ولا أنسى ذلك اليوم الذي - رجعنا فيه من الاستجمام في بستان الشيخ أبي اليقظان، وأمرنا الوالد بالإسراع إلى دروسنا وشرعت في مراجعة تمرين في النحو، كنت قد أتممت حله سابقا فوجدت أني قد أخطأت فيه كليا، وكنت الوحيد الذي أجاب إجابة صحيحة في القسم.

<u>اهتمامه بتربيتنا ونهجه في ذلك</u>**:**

كان اهتمامه بالغا بتربيتنا، وغرس الفضائل فينا، ومكافحة الرذائل ، وكله عيون تحوطنا بالعناية والرعاية داخل المنزل وخارجه.

لم يكن يشغله عن هذا تراكم أعماله الأدبية بين معهد الحياة ومكتبه؛ للجمع والتأليف للمادة التاريخية التي تجهده كثيرا.

أكثر الفضائل التي اهتم بغرسها فينا أيما اهتمام؛ وأولاها الأولوية هي:

أولا: الاعتماد على النفس.

ثانيا: الحزم والنشاط .

ثالثا: الانضباط في الأمور.

رابعا: خدمة الجماعة.

خامسا: مجالسة الكبار دون الصغار التي حنكتهم تجارب الزمن وعجمتهم.

سادسا: التقشف والتعود عليه.

نهجه في تقديم النصائح أنه لم يكن يقدمها لنا جزافا، في مر الكرام. من غير مناسبة وتهيئة للظرف الزماني والمكاني والنفسي.

بل كان يعقد لنا جلسة عائلية ودية في الوقت الذي يختاره ويراه الأنسب، يلتئم فيه شمل الأسرة حتى الجدين، يسمعنا في بدايتها الأناشيد الإسلامية من آلة تسجيله الكبيرة، وغالبا ما يجعلها مكافأة لعمل يأمرنا القيام به، ثم يقوم بتسجيل في الآلة الصوتية نماذج أعمال كل واحد منا الأدبية المتمثلة في محفوظاتنا الدراسية القرآن والحديث والمحفوظات...

بعد أن تنتشي نفوسنا بالأناشيد والألحان، وتتفتح بما تلوناه من آيات، يقدم ونحن متحلقين حوله النصائح الأخلاقية؛ والإرشادات التربوية أننا- وما زلنا في نعومة أظافرنا - لا نفهم الأشياء ونتأثر بها بالمعقول والنظريات المجردة، بل نفهمها بالمحسوس والأمثلة المشخّصة، كان يبين لنا الفضائل في أمثلة محسوسة، سهلة الإدراك، وسريعة التأثير، في ثوب قشيب، وهيئة جميلة تجلب نفوسنا، ويتفتح لها وجداننا، ويصور الرذائل في هيئة مزرية قبيحة، نشمئز منها، وننفر عنها. يبين لنا أننا إن عملنا حسنا، فسنكون مثل هذا الفلان، شريفا عزيزا، محبوبا في قومه ، ذا مكانة مرموقة رفيعة، كل الناس تحبه وترغب فيه وتحترمه، وأننا سنجني كل الثمار اليانعة التي جناها، وأنه من المرضين عنهم عند الله، ومآله الفردوس الخالد، وأما إذا اقترفنا جرما، فسنكون مثل ذلك الفلتان، لئيما رذيلا، ممقوتا في قومه، لا يؤبه به، وحظه من الناس اللعن والنظرات الشزراء... ونتخبط في كل العواقب الوخيمة التي يتكبدها من أجل ما ارتكبت يداه، ومصيره الجحيم يبوء به إلى الأبد الآبدين.

هكذا في لحظات نعاهد أنفسنا في الحلقة و نآلي علينا إيلاء، أن لا نكون إلا كذلك الشريف العزيز المرضي عنه في العليين.

كان يقدم لنا النصائح في أسلوب شيق؛ يؤثر في نفوسنا ؛ ويستحوذ بمسامعنا، يشعر الواحد منا أنه كله آذان صاغية له.

كانت كلماته تخرج من أعماقه متوهجة ملتهبة حماسا، في أسلوب خطابي؛ ونبرات قوية؛ تنبعث من كل حواسه، سيما نظراته المتقدة الثاقبة.

بقدر ما يتحمس كلّ التحمس للفضيلة، يستهجن الرذيلة، وينفجر كرها لها، يحاول بكل مشاعره وحواسه أن يصورها لنا في قبحها و وخامتها أقبح صورة.

كان يراعي ضرب الأمثلة التاريخية الفاضلة من سيرة المصطفى ﷺ وسيرة الصحابة الكرام؛ ثم من سيرة مشائخ وعلماء الجزائر وميزاب، ويركز على سيرة أجدادنا حتى نتعرف على تاريخهم المجيد وتاريخ أسرتن، كان يبين لنا أننا من أرومة فاضلة شريفة ومن معدن طيب زكي وأصل مجيد، وكانت أسرتنا تلقب قديما بآل عيسي بن حمو نسبه إلى جدنا الرابع.

وياما كان يقول لنا ويؤكد حتى حفظنا قوله: ليكن في علمكم أن كل أسرة " آل عيسى بن حمو" ليس فيها لئيم واحد، ويعبر عن لفظه اللئيم "الخردة" وهو أبلغ.

كنا ننتشي انتشاء بسيرة أجدادنا وفضائلهم العظيمة، نشعر بالعزة تحملنا بأجوائها بأجنحتها الخافقة ويعلمنا أن اهتمامهم بمخبرهم دون مظهرهم هو سر عزتهم وأس أصالتهم.

لا ننسى ذلك اليوم الذي في أهبة للزفاف أخوي الأكبر مني مصطفي وعبد الحميد، 15 أفريل 1979 عقد معهما الوالد - رحمه الله - جلسة بانفراد في مكان هادئ وبين لهم فيه" دستور الحياة الزوجية الاجتماعية الناجحة.

عدد لهما الأسس التي يجب أن يبنيا حياتهما الزوجية، ابتداء من الوهلة الأولى في المخدع الزوجي بليلة الزفاف ويا ليتني أجد فسحة في هذا الكتاب حتى أذكرها لجلال فوائدها وأشهد وأنا على يقين وصدق أني لم أصادف كتابا أو درسا تناول لأسباب السعادة الزوجية كما سمعتها في تلك الجلسة بواسطة الشريط المسجل.

قد حرص الوالد على تسجيلها، بين لهما الركائز التي يبنيان عليها حياتهما الاجتماعية وأهمها:

أولا: تقوى الله في كل شيء وحين ومكان.

ثانيا: المحافظة على الصلوات الخمس بكل شروطها في المسجد، والحفاظ على تلاوة القرآن.

ثالثا: طاعة الوالدين واحترامهما والإحسان إليهما.

رابعا: الاعتماد على النفس.

سادسا: الانضباط في الأمور والنظام، والمحافظة على الوعود والعهود.

سابعا: خدمة الجماعة، وعدم التقوقع، وتفضيل المصلحة العامة على الخاصة.

ثامنا: مراعاة الكسب الحلال، وإنه من أسباب الصلاح التوقي من الكسب الحرام.

تاسعا: الإحسان إلى الزوجة.

عاشرا: التقشف في الجانب المادي وعدم الانقياد للمغريات.

إلى غيرها من النصائح الذهبية.

بخصوص النصيحة الأخيرة، كان يؤكد لكل واحد منا، أن يبني منزله قبل الثلاثين من عمره، حيث يتعذر له هذا بعد ذلك؛ لتكاثر مصاريف أسرته عليه، ولارتفاع الأسعار كل حين. أو يقول - رحمه الله - << ليكن في علمكم يا جماعة من لم يبن داره قبل هذا الوقت، فسأطلب منه الخروج من منزلي>>، وهذا التهديد "مجازي" وليس حقيقيا، وهو كناية عن التحريض وشحذ الهمم، ثم يقول لنا بنبرة مهددة: << اياكم ثم اياكم والوقوف أمام واجهات المحلات التجارية، والتملي فيها وسيكون حسابكم معي عسيرا جدا، وليكن نظركم في شارع الدكاكين دائما إلى الأمام، التقشف ثم التقشف يا جماعة حتى تستطيعوا أن تكونوا رجالا تقارعون الأنداد>>.

كان يعودنا الاعتماد على النفس في كافة أمورنا الشخصية، بل ونشارك في أمور المنزل ومهامه، عند اقتضاء الضرورة، وكنا نجري الإصلاحات في المنزل بالقرارة وديارنا في بريان عند صيف كل سنة ثم طلاءها ودهنها، ولقد تعلمت وأنا صغير مهارة صقل الجبس "بالمالج"، "المصقلة" من والدتي، لما كانت تقوم بهاته المهمة ثم كفيناها إياها لما اشتد عودنا.

في ذلك الحين كانت المياه القذرة تنساب إلى بئر المنزل المعدة لها وهذا في القرارة. وغالبا ما تمتلئ يتعذر غسل الملابس في النزل، ونكلف بغسلها خارجه وهي ملابس كافة الأسرة، وهذا في البساتين البعيدة.

كما نكلف بالمشاركة في تنظيف مرافق المنزل بطوابقه المتعددة وترتيبها، ونحن عندما نتولى المشاركة في هاته المهام، التي هي من اختصاص الوالدة - حفظها الله - والأخوات لا ليركن إلى الراحة والاستجمام، وكثيرا ما كان يذكرهن الوالد بمقولة أبيه الحاج علي دبوز لأسرته « لأن تأخذن المعاول وتهدمن سواري المنزل، حين لا تجدن ما تفعلنه خيرا لكن من جلوسكن بلا عمل ».

لقد كن يشتغلن بخدمة الصوف والمنسج، التي يبدأن فيه من السحر قبل صلاة الفجر، ولا يتوقفن إلى صلاة العشاء إلا للاستراحة وقت القيلولة أو في يوم الجمعة وهو يحب أن تكون

المرأة حازمة، عمالة مثالا في النشاط والحرص كثيرا ما يجتمع في منزلنا أكثر من منسج أحدهما لوالدتي، والآخر لأخواتي الثلاث كلما أتممن واحد، إلا وشرعن في آخر وهذا مع اشتغالهن بالخياطة وتوابعها من طرز وغيرها، دون أن يفرطن في دروسهن وواجباتهن المدرسية.

كان يهتم على تمريننا على الطبخ فيكلف في الجمعة أحدنا بتحضير وجبة الغذاء أو العشاء، طبقا للوصفة التي تقدمها الوالدة - حفظها الله -.

اهتمامه بأوقات فراغنا والمطالعة

إنه يعلم أن الفراغ مفسدة، حيث تحبك عليه حبائل شياطين الجن والإنس، لذا اهتم بملء أوقات فراغنا بالعمل الجاد المفيد، وإن أمقت شيء لديه هو التسكع في الشوارع، ولعب الكرة التي يراها الكبرى ، والطامة العظمى على الأبناء والشباب، دائما يندد عنها في دروسه وخطبه لعلمه بالرذائل التي تكتنفها سيما تضييع الصلاة والشتم وارتكاب المحرمات، وهتك الحرمات وغيرها ولعل عذره في هذا، أن الكرة في حينه لم تكن مؤطرة تحت إشراف الجمعيات، التي ترعى الآداب الإسلامية والأخلاقية الفاضلة وأوقات الصلاة، بل كانت تلعب عشوائيا في الشوارع، وضواحي المدينة بلا رقيب، كان أحدنا إذا لعب الكرة في الشارع فقد اقترف جرما شنيعا فادحا، لن يغتفر له، ومصيره العقاب الصارم هذا إذا لم يستمع للنصح.

لقد كان- رحمه الله - يحدد لنا طريقنا إلى مدرسة الحياة أو إلى أي غرض آخر ويبين لنا السبل التي يجب أن ننهجها في ذهابنا وإيابنا.

طريقنا إلى مدرسة الحياة هو شارع الحاج محمد بن إبراهيم المرموري أو الشارع الشيخ بيوض ثم نعبر السوق العلوي، وحذاري من السفلي!. ومنه إلى شارع الشيخ عدون في الجهة الشرقية.

ويؤكد لنا دائما لنا أنه قد رصد العديد من الأعين، لتراقب حركاتنا وأخلاقنا في الشارع وكنا نؤمن بقوله. وكلما رأينا أحدا ينظر إلينا قلنا << ذلك عين من العيون أبي فيا نفس احذري>>.

ليت شعري. إلى الآن لست أدري، كان ذلك حقيقة ؟ أم هو من باب التخويف والإيهام؟.

كان يحدد لنا زمن الذهاب إلى المدرسة والوقت الذي نستغرقه في الطريق. كان – رحمه الله – يملأ فراغنا بالعمل في البستان؛ الذي يراه مدرسة الرجال سيما ارتقاء النخلة أو المطالعة الأدبية وهو الذي يتولى اختيار ما نطالعه.

بفضل علاقته الوثيقة مع صديقه الدكتور محمد عطية الأبراشي في مصر المختص في علم نفس الطفل؛ فقد بعث إليه بإيعاز منه طردا في أوائل السبعينيات؛ يحوي على أكثر من ثلاثمائة وخمس وستين قصة؛ للأبراشي نفسه أو لكامل الكيلاني أو لعادل غضبان أو غيرهم.

وكان يقدم لكل واحد منا القصة التي تناسب مستواه؛ ويأمرنا بقراءتها بتمعن مع شرح مفرداتها وتسجيلها في دفترها؛ وجعلها في جمل مفيدة وقبل أن يقدم لنا القصة الثانية يجري علينا أسئلة في معاني وأسلوب مفردات الأولى؛ ليسبر مدى إلمامنا بها.

كنا نقبل عليها بنهم وشغف شديدين، وكثيرا ما كنت أعرض عن الغذاء والعشاء، عندما يرتفع النداء حتى لا أقطع لذّتي بها، ولا أنسى ذلك اليوم الذي اهتز فيه معلمي في المدرسة الرسمية طربا لإنشائي الذي بدى فيه أثر المطالعة جليا. ومن ذلك الحين أصبح يتصدر إنشاءات صفي وينوه به. والفضل لله والمطالعة، ولما استهلكت ما اقتناه لنا أبي للمطالعة صرت أستعيرها من خزانة الأستاذ الشيخ بالحاج عيسى بن محمد بواسطة زميلي ابن عمه "قاسم" سيما روايات تاريخ العرب والإسلام لـ"جرجي زيدان" وكان أبي يتتبع أمري ولما انتهيت من مطالعتها بتمامها الاثنين والعشرين كتابا. قال لـي ـ رحمه الله ـ : (ليكن في علمك يا بني أن القصص و الروايات تكمن فائدتها في اكتساب ملكة المطالعة فقط أما وقد امتلكتها، فعليك بالكتب الأدبية الدسمة: جواهر الأدب للهاشمي ووحي القلم للرافعي وزهر الآداب للقيرواني وغيرها.....). ثم قال موضحا (فلتعلم أن من يطالع الروايات كمن يمص أصبعه ليرضع منه حليبا)

ما أسرع أن اقتني لي هاته الكتب من مكتبه معهد الحياة، وهي أعز ما في مكتبتي، وأنا آنئذ لما أبلغ الحلم .

كان يبين لنا هيئة المطالعة وكيفيتها، بأن يكون مستوى الكتاب دائما دون مستوى العين لا فوقها حتى لا نجهدها، وأن يكون الضوء كافيا 60 w فما فوق ومن فوق الكتاب لا وراءه ، ولا نطالع في ضوء الشمس، وتغليف الكتاب والمحافظة عليه وعدم طيه أمور ضرورية .

<u>نهجه في العقاب:</u>

إذا ارتكب أحدنا ما يستحق به العقاب، أو وقعنا فيه كلنا. فلم يكن - رحمه الله – يبادرنا بالعقاب العشوائي الجزافي بالصفع والركل والشتم ... وكأنه يشفي غليله منا لا قصد تربيتنا، مما يشعرنا نحوه بالمقت والكره لا قدر الله ! بل كان يعقد جلسة؛ يجمع فيها شملنا، وإن جلب معه أداة العقاب فإنه يخفيها تحت عباءته حتى لا نشعر بها، وتجعلنا لا نعي نصائحه رهبة منها. ويبين لنا وخامة الرذيلة التي اقترفت، وعواقبها الوخيمة القبيحة علينا بمنهج وأسلوب حكيمين؛ يجمع بين الحذق في كيفية إيصال الفكرة إلى وجداننا، وتهويل الرذيلة وتصويرها في أبشع صورها، حتى يتيقن المخطئ منا في قرارة نفسه جرم ما ارتكبت يداه؛ وفداحته عليه وعلى الآخرين، وإن كان هناك عقاب فإنه يستحقه بما جنت عليه يداه.

لما يرى ـ رحمه الله ـ أن العقاب ضروري فإنه لا يوقعه إلا في مكانه الشرعي، ويتحاشى المواضيع الحساسة، مثل الوجه والبطن والصدر والرأس وغيرها. وقعه يكون حسب عمر المرتكب ودون ضرر. وحذاري للوالدة أن تظهر الشفقة له بل تبين أنه يستحقه، اتقاء أن تشعره بأن والده قد ظلمه أو تعدى عليه، وتأتي فائدة هذه الجلسة أن الوالدين يتفقان في مكافحة الرذيلة. وليعم النصح كافة أفراد الأسرة ويرتدعوا بالعقاب.

أداته للعقاب لم تكن واحدة لجميع أبنائه وبناته، بل يتخذ لكل صنف الأداة التي تليق لهم.

فبناته الصغيرات، أداتهن تتكون من سيور هينة مشدودة إلى عصى المعروفة بـ "بولالة" وقعها لطيف هين يليق بهن. أما أبناؤه الذين لم يبلغوا الحلم فيتخذ لهم سوطا صغيرا، أما الذين تعدوه فلهم سوطهم الذي هو أنكى من سابقه وأقذع، هذه الأدوات هي دائما معلقة بمكتبه في موقع أنظارنا حتى تردعنا . هكذا كان ـ رحمه الله ـ يعالج هذه القضية الحساسة بحكمة بالغة لا تهور فيها، تشعرنا بفائدة العقاب علينا.

تمسكه بالهندسة والسمت الميزابيين

كان ممتلئا إعجابا بالهندسة الميزابية؛ سيما الخاصة ببناء المنازل، ويدرك الحكم العظيمة والأهداف السامية التي بنيت من أجلها مرافقه الحيوية وبعد نظر أجدادنا، إنه لا يكل عن تعديد مزاياها الجليلة في دروسه، آمرا بالاحتفاظ بها، والعض عليها بالنواجد لأنها رمز أصالتنا. وينهي عن الميل إلى الهندسة المستوردة القاصرة، التي لا تجعل للميزابي منزله مكيفا متكيفا. وتضر بمصالحه أيما تضرر!

ومن المميزات التي كان ينوه بها، أن أجدادنا يجعلون الردهة الأرضية فسيحة؛ ويجعلون في السقف شباكا واسعا في كل طوابقه حتى تسطع أشعة الشمس في سائر أرجاء البيت، وهي العماد الأساسي الأول للجانب الصحي وليكون مكيفا بالهواء الطلق. وليجد أولاد رب البيت المكان الذي يلعبون؛ فيه تحت مراقبته؛ ودون أن ينتهكوا الحرمات في لعبهم بالشارع، الذي هو مظنة لاكتساب الكثير من الخبائث، إلى غيرها من مميزات التي تحتويه هذه النقطة.

وكم من مرة أجرينا نحن أبناؤه إصلاحات في دارنا ببريان، وحالنا هدم مدخنة المطبخ ورمي أثافيها السوداء بعيدا . وهدم الطاحونة الحجرية، وقلع الأغصان المشدودة إلى الجدار لوضع الأغراض فيها. وهي في نظرنا تزري بمنظر دارنا.

وكان يغضب الغضب الكبير علينا! ويرفض الرفض القاطع الذي لا هوادة فيه! ويبين لنا أن الزمان لا تحمد عواقبه؛ ولا يؤمن شره. وأنه سيحل على الجزائر زمان يجد الجزائري نفسه محروما من كل المميزات التي يتمتع بها حاليا؛ مثل الغاز والكهرباء؛ والمؤونة التي تصلنا من خارج ميزاب سيما الدقيق، ولا يجد ما ينفعه إلا هذه المدخنة؛ لطبخ طعامه بالحطب. وستكون

أثافيها أعز عليه من الجواهر، وإلا هذه المطحنة لطحن القمح لمؤونته. وكان يحتفظ دائما الكثير من القمح احتياطا لهذا الزمان. وتعهدها بالحفظ والمراقبة دوما.

وكان قلبه يحز الألم المرير؛ عندما يرى الميزابي يبني داره بالإسمنت والهندسة المستوردة؛ التي لا تناسب الأصالة الميزابية، ويتأسف له بالغ الأسف.

بقدر احتفاظه بالهندسة الميزانية، كان يحتفظ بالسمت الميزابي احتفاظا كبيرا، سيما العباءة؛ والقبعة؛ والسروال؛ والعكاز؛ واللحية التي تزيد للميزابي جلالا ووقارا وجمالا. يأمرنا دائم بالمحافظة عليها .

كان يوصيني عند سفري إلى جانب اصطحاب القشابية أن آخد معي زاد الطريق يكفي لخمسة أناس أجد ما أقريهم به في الطريق. ودائما كان يصطحب معه في الحافلة في الصيف وعاء ذا عشر لترات من الماء البارد ليقدمه للمسافرين في الطريق.

كان يشدد علينا بمرافقة العكاز أو (الدبوز) عند خروجنا في الليل. وعدم الاطمئنان. ويبين لنا فائدتهما، أن الذي يحمل أحدهما يستطيع أن يتغلب على المتعدي بالخنجر أو المسدس أو غيره. وهي أفضل السلاح للدفاع عن النفس، ولقد اقتنى لي عكازاً من الزيتون من قسنطينة و(دبوزاً) من شجرة صحراوية جلبه له أحد الأعراب وعمري لا يتجاوز الرابع عشرة سنة.

كان يأمرني بمصاحبة (الدبوز) عند توجهي في الليل إلى جمعية الشباب بمعهد القرارة، أحيانا أحاول مداراته حتى لا آخذها خجلا منها. ولكن عيونه تكون لي بالمرصاد.

يا ليت شعري هكذا كان رأيهم في الإبقاء على المطبخ التقليدي والمطحنة الحجرية ومصاحبة العكاز(الدبوز) في الليل في السبعينات لما كان الرخاء والأمن يعم ربوع الجزائر والدينار الجزائري ذات قيمة عالية، فما حسبنا اليوم الذي تدهور فيه الدينار إلى أدرك المستويات، وعم الغلاء الفاحش، وتأزم الأمن في كافة ربوع الجزائر إن المقارنة بين السبعينات والتسعينات وربطها بآراء الوالد- رحمه الله- غني عن التعليق.

رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

الباب السادس

مقتطفات من أقوال العلماء في تراثه

الشيخ علي يحي معمر النفوسي

تاريخ المغرب الكبير

في بحث مطول بمجلة الأزهر، يبين فيه قيمة كتاب " تاريخ المغرب الكبير" يقول : ((...ثانيا: لمعرفتي للمؤلف، وأساليبه في البحث، وتعمقه في الدراسة، واعتماده على التحليل النفسي للمجتمعات في إصدار الأحكام ...بأسلوب أدبي، وبحث فلسفي ، معللا كل الأحداث وهو ما لا تجده في كتابا آخر غيره... قرأت هذا الجزء... وأعجبت به، واستمعت بقراءته، على أن إعجابي بالكتاب لا يرجع إلى أسلوب المؤلف الأدبي الجميل ولا إلى الروح الخفيفة المتوثبة. ولا التعابير الراقصة في بعض الأحيايين، ولا إلى تنسيق للأحداث التاريخية هذا التنسيق الفني البارع. وإنما أعجبني في هذا الجزء وعي المؤلف الصادق لمباحث الكتاب، وإدراكه العميق لأسرار الأحداث، وفهمه الصحيح لحقائق التاريخ، واستيعابه لجميع الوقائع في مختلف أزمنتها وأمكنتها، ثم عدم الانخداع بمظاهر يضفي بها المتزلفون "الشرعية" على دولة فيغترفون لها جميع الأخطاء.

ولقد استطاع المؤلف أن يكشف عن جوانب كثيرة، انحرف فيها المؤرخون السابقون. وتبعهم في ذلك الانحراف مؤرخون معاصرون فأبان وجه الحق، وبرهن على صحة النظرة، وسلامة الفكرة، وعدالة الاتجاه، وكان اعتماد في ذلك على الفهم والإدراك والنقد، وعلى دراسة المجتمعات في تلك العصور، وعلى الفهم والإدراك والنقد، وعلى دراسة المجتمعات في تلك العصور، وعلى فهم نفسيات الشعوب، والدول هي إحدى خصائص الأستاذ محمد علي في كتاباته للتاريخ. ولو رجع القارئ الكريم الجزء الثاني أو الثالث من "تاريخ المغرب الكبير" لوجد كثيرا من الشواهد على هذا القول.

...هذا الاستنتاج سواء كان هو نفس الواقع أو قريبا من الواقع يدل على أن صاحب الكتاب بعد الدراسة والبحث والاطلاع والتغلغل إلى داخل الحياة في تلك المجتمعات إنما يعتمد على اكتشافه الشخصي، وعلى ذلك الاكتشاف يبني أحكامه . وهو في كل ذلك يقوم على التحليل والتعليل. والكتاب كله مظهر لهذا الأسلوب في كتابة التاريخ واحسب أن هذه إحدى المزايا التي ترفع المؤلف إلى الصف الأول من المؤرخين الذين يعملون دون تأثر باتجاه معين. وإننا لننتظر من الجزائر الفتية ، ومن كتابها النابغين مثل الأستاذ محمد علي دبوز أن يمدوا المكتبة العربية سيما في تاريخ المغرب وتراثه ما يسد ثغورا كبيرة لازالت فارغة.

الدكتور محمد صالح ناصر

في مقاله: الشيخ محمد علي دبوز وتاريخ المغرب الكبير

(...وبفضل الجهد العظيم المتواصل الذي استمر خمسا وعشرين سنة، أخرج إلى النور هذه الموسوعة التاريخية من تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة أيضا، وأعلام الإصلاح في الجزائر بأجزائه الخمسة.

...وما لبث الكتاب (تاريخ المغرب الكبير) أن استقبل استقبالا حافلا في الأوساط الثقافية مشرقا ومغربا، فتكلمت عنه الإذاعات العربية، وكتبت عنه جريدة الأهرام، ومجلة الأزهر ومجلة الآداب والأديب، ومجلة العلوم، ومجلة العربي ،وغيرها.

وكان جديرا بهذه الحفاوة البالغة التي استنفدت من الشيخ دبوز بحثا دقيقا في مكتبات القاهرة وتونس، وتقليب أغلب مكتبات الجزائر ووادي ميزاب حيث استطاع أن يكشف النقاب عن بعض المخطوطات المهمة. مستخرجا إياها من الرفوف القديمة والصناديق العتيقة. وكانت من قبل مسرحا للأتربة والأرضة.

...ورغم هذه المعاناة القاسية، فإن الشيخ دبوز لم ييأس ولم يستسلم. وقد أثر ذلك على حصته وسمعه في أخريات حياته ، ولم يتوقف عن الطبع والإنتاج لحظة واحدة، فما أن ينتهي من طبع كتاب حتى يواصل الجهد لطبع آخر، وما أ، يلتقط الأنفاس من مرحلة حتى يشمر على ساعد الجد لمواصلة السير على الشوك في مشروع إنتاج جديد. وكان ذلك دأبه إلى أن وافاه.

ويكفيه فخرا واعتزازا أن تكون مؤلفاته اليوم متصدرة مكانها في رفوف المكتبات العالمية الشهيرة، مثل الكونغرس الأمريكي، والاسكوريال، وأكسفورد، وكمبردج ومكتبة العلم العربي بباريس، ودمشق والقاهرة وبغداد وغيرها.

ولعل بعض المؤرخين الجزائريين من الجامعيين، اعترفوا بفضله حين رشحوه لوسام المؤرخ العربي بغداد منذ سنتين، وقد توج هذا التشريف الشهادة الشرفية التي منحها إياه السيد رئيس الجمهورية بمناسبة مرور ربع قرن على الاستقلال...)

الجزائر في 1989/11/07

من مقال: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ

(... وهكذا كان الشيخ محمد دبوز في كتاباته بحق أحد أولئك الرواد الذين أرسوا قواعد المنهج الإسلامي الواضح، فقد كان ـرحمه الله ـ شغوفا إلى حد الوله بتاريخ أمته الإسلامية ماضيا وحاضرا همه المقعد أن يستخدم هذه الكتابة في سبيل رسالة تربوية سامية تهدف إلى تربية الجوانب الأساسية في شخصية النشئ المسلم، جانبه الديني وجانبه الوطني والعلمي.

...وحسب الشيخ أصالة وتقعيدا، أنه كتب متأثرا بابن خلدون المسلم، لا تلميذا لنكولا بييرديف الروسي، واتبع في منهجه منهجا إسلاميا يصدر فيه إيمانه بأن الكتابة رسالة تربوية وهدف تثقيفي نبيل).

الجزائر في1989/11/05

أنور الجندي

محمد علي دبوز موسوعة "تاريخ المغرب الكبير"

تناول المفكر الإسلامي أنور الجندي في كتابه "مفكرون وأدباء" من خلال آثارهم شخصية الشيخ محمد علي دبوز وتناول كتابه "تاريخ المغرب الكبير" بالدراسة والتحليل في فصل من فصول كتابه نقتطف منه ما يلي:

<<...فقد تطلع الباحثون نحو المغرب العربي يتساءلون: متى يظهر ذلك المؤرخ الباحث الذي يعيد كتابة تاريخ المغرب العربي الكبير، محققا منصفا مصححا كل هذه الأخطاء، حتى ظهر هذه الأيام الكتاب الأول من موسوعة تاريخ المغرب الكبير للأستاذ محمد علي دبوز وهو أكثر من ألف وخمسمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير معلنا عن ذلك الجهد المبذول منذ أكثر من عشر عاما، لأداء هذا العمل في عشر مجلدات كبرى تتناول مراحل هذا التاريخ منذ فجره إلى اليوم.

وتعد موسوعة" تاريخ المغرب الكبير" من الأعمال الكبيرة الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب ،حين يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من ألف وخمسمائة وعشرين صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال). مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد. كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوهها المؤرخون والكتاب. يقول المؤلف (هذا أول كتاب جزائري يطبع بعد استقلالها...)

مفكرون وأدباء من صفحة 247إلى 251

<u>نظرات في" نهضة الجزائر الحديثة"</u>

في مقال نشره الشيخ أنور الجندي في مجلة الأديب في 01 أفريل 1965 حول دراسة تحليلية لكتاب " نهضة الجزائر الحديثة " يقول:

<<... والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز عالم مجاهد، يشق طريقا وعرا، وينشئ عملا غير مسبوق. ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته. ثم هجرته من الجزائر إلى مصر أو دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه ، وقد ألف مجلدات تاريخه الثلاثة " تاريخ المغرب الكبير" في القاهرة، ثم اختار هذه المرة دمشق حيث ألف وطبع كتابه عن نهضة

الجزائر الحديثة. فجاء كتابه شاهدا بالجهد الضخم الذي بذله في سبيل الكشف عن هذا الدور. الذي قام به المفكرون في الجزائر من أجل المحافظة على اللغة العربية والإسلام والقرآن ونشرها جميعا وحمايتها من مؤامرات الاستعمار التي كانت تستهدف القضاء عليها جميعا...>>

لقطة من كتابه: الفكر والثقافة في شمال إفريقيا.

... وأسمع صوت الشيخ محمد علي دبوز فصيحا مسترسلا من بين هذه الأصوات يعيد ما قاله منذ خمس وعشرين سنة. وكأنه بنور الله يبصر قائلا <<إن الاستعمار اللاتيني قد زال من مغربها الكبير والحمد لله. ولكنه ترك في كثير من خريجي مدارسه وجامعاته من أبنائنا عقدا نفسية خطيرة هي أضر لنا من الاستعمار، وأوحى إلى كثير منهم بأن الإسلام ليس دين المدنية والعظمة، وأن اللغة العربية لا تساير المدنية ...>>

الفكر والثقافة في شمال أفريقا صفحة 309.

الشيخ محمد عطية الأبراشي

كبير مفتشي اللغة العربية والدين سابقا.

وأستاذ التربية وعلم النفس بجامعة دار العلوم.

للشيخ محمد عطية الأبراشي مقال مفصل حول كتاب " تاريخ المغرب الكبير" وفيه يقول: ...<< والحق أن الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة إلى من يقدمه، فمادته غنية كل الغنى، تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة، للوصول إلى الحق، والحق وحده، كما تدل على المجهود الكبير الذي بذله في تأليفه، وتخليصه من الأكاذيب التي دسها الكتاب من المستعمرين، وهو أول كتاب عربي جزائري يطبع بعد الاستقلال في أكثر من 1520صفحة، وهذا جهد يذكر بالشكر والتقدير...والأستاذ الأديب المؤرخ محمد علي دبوز بكل تشجيع وإعجاب وتقدير من العالم الإسلامي، والأمة العربية كلها لما قام به من مجهود مشكور سيتذكره له التاريخ. وإني واثق كل الثقة بأن هذا الكتاب الثمين بأسفاره الثلاثة الضخمة سيجد مكانه في كل بيت عربي، وكل مدرسة عربية، وكل مكتبة عربية، وسيصبح مصدرا للمعاهد العلمية في المغرب. والله أسأل أن ينفع به. ويجزي المؤلف عن العروبة والإسلام أحسن جزاء إنه سميع مجيب الدعاء>>.

القاهرة جزيرة الروضة 7نوفمبر 1964. 3رجب1384. محمد عطية الأبراشي.

الدكتور محمد بن قاسم بوحجام

المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة

جامعة باتنة

هو عنوان مقال للدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام. نشره في مجلة النهضة العمانية وحلل فيه نهج الشيخ محمد علي دبوز في كتابته للتاريخ ويذكر الشروط الأساسية التي يشترطها محمد علي دبوز في مدرس التاريخ وكتابته نقتطف منها ... << نظر الأستاذ محمد علي دبوز إلى تاريخ المغرب العربي فوجده عبارة عن شطحات المستشرقين، ودسائس المستعمرين، وسموم المغرضين فتأكد لديه وجوب العمل على تصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق، وأن لا يتولى ذلك غير أبناء الإسلام الذين يكنون له عطفا وحنينا لا إلى الأجانب الذين لا يحسنون سوى وضع السم في الدسم متمثلا بقول الشاعر المناضل رمضان حمود:" التاريخ محيي الأمم، وقد يكون قاتلها إذا شربته من كأس غيرها" لقد بر الأستاذ بوعده ونفذ ما دعا إليه وانقذ تاريخ أمته من الضياع وقد استمر في هذا العمل الشاق المضني ما يزيد عن ثلاثين عاما قضاها في الجمع والتنقيب والمقارنة بإرادة لا تعرف الملل وصبر لا يعرف الحدود فذهب إلى ربه قرير العين.

... آمن أستاذنا محمد علي دبوز بأن التاريخ وسيلة تربوية ناجعة تساعد الأجيال على السير في الطريق الذي رسمه الأجداد وعمل جاهدا لتثبيت هذه الحقيقة في نفوس المربين القائمين بمسؤولية الوعظ والإرشاد في الأمة.

... فلربما يستنكر مثل هذا التعاطف وهذا التعامل مع التاريخ بعض المتهمين به لاشتراطهم الموضوعية في نقل الأحداث. فإننا نقول لهؤلاء (إذا سلمنا لأستاذنا ووافقناه في اعتقاده بأن التاريخ وسيلة تربوية ووعينا معنى التربية، وجب أن نقره على المنهج ونؤيد رأيه، ونسهم معه في السبيل...>>.

<<... إن الأستاذ محمد علي دبوز كان حريصا على أمور أساسية وهي دراسة حياة العظماء دراسة نفسية تهدف سبر أغوار شخصياتهم والوقوف على أهم ما تمتاز به والتنويه بالأدوار التي قامت بها في معترك الحياة وربط كل ذلك بالميول الفطرية والمواهب والظروف النفسية والاجتماعية التي مرت بها حتى يستفاد من تجارها...>>

الدكتور نور الدين حاطوم

رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق.

له أكثر من مقال حول مؤلفات الشيخ محمد علي دبوز في مجلة الأديب وغيرها نعتذر عن عدم ذكرها.

المصادر والمراجع

الكتب:

1- تقرير عن التعليم الحر بوادي ميزاب للأمام الشيخ ابراهيم بيوض.(مخطوط)

2- مذكرات وثائق رسمية عن وادي ميزاب من1853 غلى 1951م للحاج محمد عمر بن عيسى بن ابراهيم.

3- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم للشيخ أنور الجندي.

4- الفكر والثقافة في شمال افريقيا للشيخ أنور الجندي.

5- التعليم القومي والشخصية الجزائرية الدكتور تركي رابح.

6- تاريخ المغرب الكبير الجزء الأول والثاني والثالث للشيخ محمد علي دبوز.

7- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء الثاني والثالث للشيخ محمدعلي دبوز.

8- أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء الثالث والرابع والخامس للشيخ محمد علي دبوز.

9- تاريخ بني ميزاب للأستاذ يوسف بن بكير الحاج سعيد.

10- تاريخ بريان للسيد عمر بن عيسى بلعيد. (مخطوط)

11- تاريخ الحركة الإصلاحية في بريان للسيد سليمان بن ناصر حسني (مخطوط)

12- تاريخ الشيخ الحاج محمد ابراهيم الطرابلسي للأستاذ دبوز بيوض ابراهيم.(مخطوط)

13- تاريخ المغرب العربي الجزء الأول للدكتور صلاح العقاد.

14- كتاب مشائخ غرداية ومقاماتهم.(مخطوط)

15- محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ الدكتور محمد ناصر.

16- تاريخ عائلة الدبوز للشيخ محمد علي دبوز. (مخطوط)

الأرشيف:

17- أرشيف مكتبة الشيخ محمد علي دبوز بريان.

18- أرشيف جمعية الفتح بريان.

19- أرشيف مكتبة الحياة القرارة.

الأشرطة:

20- لقاء مع الحاج محمد بن ابراهيم مرموري حول تاريخ الشيخ محمد علي دبوز أجراه معه دبوز بيوض ابراهيم في أكتوبر 1982.

21- تأبين الشيخ محمد علي دبوز في الحفل الجنائزي مقبرة بريان 1981.

22- تابين الشيخ محمد علي دبوز في مدرسة الشيخ بابهون في القرارة.

23- الذكرى السنوية للشيخ محمد علي دبوز في عشيرة آل نشاشبة وأولاد يونس بريان.

المجلات:

24- مجلة الأزهر- مجلة الأديب – مجلة الآداب – مجلة العلوم – مجلة العربي- جريدة الأهرام.

مكتبة الصفاء

للشيخ محمد علي دبوز - رحمه الله - في سطور.

سميت (الصفاء) ؛ لأنها أبرز شمائل الشيخ محمد علي دبوز - رحمه الله - ، و أهم ما يدعو إليه . و أصبحت أعظم أهداف مكتبته ، إلى جانب نشر الثقافة والمعرفة في ربوع وادي ميزاب ، و الإهتمام بأصالته و تراثه المجيد ، وتاريخه الزاهر ، جمعا و نشرا ، بواسطة نشاطاتها .

يتكون مقرها - الكائن في شارع الحاج علي دبوز - من ثلاثة طوابق ؛ الأول للندوات العلمية ؛ و الثاني خاص للبحث العلمي ؛ مجهز بكل وسائل البحث و الراحة . و الثالث للمطالعة . تحوي كل أبواب الثقافة الإسلامية العربية . سيما التفسير ؛ و الحديث مع علومهما ؛ و الفقه و أصوله؛ و الأدب ؛ و التاريخ ؛ و الفلسفة ؛ و علم النفس ؛ و التربية و التعليم ؛ و الإعلام الآلي ؛ و الدراسات الجامعية . مع جميع أبواب هاته الفنون ، و الكتب المدرسية ، و علم اللغات ،و بها جانب خاص للطفل . و الآخر للمرأة. و هي مجهزة بالهاتف و كل وسائل الراحة .

و تحوي مخطوطات كثيرة ؛ و أشرطة سمعية و بصرية ؛ في جميع الفنون . و أرشيف كبير من الصور الفوتوغرافية و غيرها ...

شعارها :

صفاء ؛ و إخلاص ✿ إرادة ؛ و نظام .

نشر :

مكتبة الصفاء

الجمعة 02 ربيع الأول 1413هـ / 26 جوان 1998م .